رجال محاصرون

مسرحية في ثلاثة فصول

بقلم مطاع صفدي

شخصيات المسرحية

منيب
خديجة
ابراهيم
حسين
منصور
سعيد بك
نهله
حارس

الفصل الاول

غرفة في المدينة

(بعض مقاعد متناثرة ، الى اليمين مكتب صغير عليه بعض الكتب ، ثياب معلقة الى جانب الحائط ، قرب المكتب سرير حديدي غير مرتب ، والى اليسار نافذة والى جانبها مقعد ، وعلى طرفها ابريق ماء)

منيب ـ انتظرت أن أراك كل مساء في الساعة الخامسة حسب موعدنا منذ عشرة أيام ..

خديجة ـ ولماذا لم تبرح غرفتك هذه، وتفعل شيئا آخر غير الانتظار؟ كان الاحرى بك أن تسأل عني أن تكف عن تأمل الجدران .. هذه النافذة هي كل شيء بالنسبة لك ، تجلس خلفها ، وتظل ترقب لساعات طوال... كل شبح ، مهما كان غريبا عن هيئتي الاصلية ، تقنع نفسك بانه خديجة .. خديجة لا بد أن تأتي كما فعلت منذ سنتين ، لن تستطيع أن تحتمل ضجر الساعات الطوال بدون حوار خفي في غرفة شبه مظلمة ، تحبس صمتها في قلب المدينة الصاخبة .. دعني أتهم .. لم يخطر ببالك اني قد أكون مثلا هجرتك الى الابد أو أنه أصابتني علة ما ، أو أن قريتنا قد حبست علي أخيرا دون درب المدينة ..

منيب ـ ماذا حدث يا خديجة ؟ اتركيني لحظة أتكلم فيها عن شيء آخر ، لم أرك يوما على مثل هذا الانفعال ، انك كمن أصيب فعلا بعلة ما ، ماذا دهاك ؟ لقد أصبحت مخيفة ، فقدت أناقتك دفعة واحدة .. وهذا شعرك ..

خديجة ـ ها .. وهل كانت لي أناقة حقا ، أنا ابنة القرية ؟ كفاك أوهاما تطعم بها غرورك وكبرياءك .. أنا لم أكن في أحد الايام الا خديجة بنت السيد صالح .. ايه .. ربما كنت أزيد في أناقتي كي أنسيك قليلا حقيقتي ..

منيب ـ ما عنيت هذا .. كنت أريد أن أقول أن انفعالك يشوه جمالك .. يبدد من سحرك الهادىء .

خديجة ـ لو كنت تدري على الاقل كم كلفتني هذه الاناقة ، أنا خديجة بنت السيد صالح راعي البيك في ضيعة الجرفة .. مسكين محمود بك ، هل كان يحلم في حياته أن حوشه المدهون سيصبح مسكنا لصالح وعائلته .. كان طيبا اذ أوصى لابي ببيته وقطعانه ، واتقن ابي فيما بعد صنعة البيك ، فتملك اراضي جديدة .. و

منيب ـ وماذا يهمنا هذا الآن ، أود لو تكفين لحظة فقط ، وتضعين حدا لهذا الغضب الذي لم أعرف له سببا بعد .. كنت أسألك .. أين قضيت كل تلك المدة بعيدة عني ؟ .

خديجة ـ (بسخرية) وأنا كنت أود أن أسألك كيف استطعت أن تتحمل الابتعاد عن جمالي وأناقتي عشرة أيام ؟

منيب ـ كنت قلقا عليك أنت ، ليس على جمالك وأناقتك ..

خديجة ـ دعك من هذه الكلمات البراقة .. لو كنت تعلم كيف صنعت هذا الجمال وهذه الأناقة ! كيف علي أن أتمرن على ارتداء الحذاء ذي الكعب العالي ، وأسير به في أرض الطين والغبار ، كيف كنت أحفظ تسريحتي من عصف الرياح في البراري حتى أصل الى موقف الاوتوبيس .. كيف كنت أرتدي الازار القروي الاسود على طول قامتي ، وأخفي تحته ثوب المدينة .. كل ذلك من أجل ألا أخجل أخي ابراهيم أمام أصدقائه في الحفلات التي كانوا يقيمونها هناك ..

منيب ـ ومع ذلك ما كان أحد يعرف فيك القروية يا خديجة .. كنت دائما أجمل فتيات « الفريق » أحاديثك وتصرفاتك وسلوكك الرشيق المهذب ، كل هذا كان يجعل منك دائما محط أنظارنا جميعا .. ولم تمنحيني ثقتك الا بعد ان اصطنعت جميع وسائل التقرب منك والتودد اليك حتى ..

خديجة ـ (بسخرية وحرقة) حتى اوقعتني في شركك .. لا .. لا .. أنا لا أتهمك ، لو لم تكن أنت لكان غيرك ، كنت أنتظر دائما أحدهم ، أحد أولئك الذين أحاطوا بي من كل جانب ، وأشبعوني غزلا وتملقا .. كان أخي ابراهيم يقول لي في كل مناسبة بعد أن أثبت نجاحي في دروسي التي ألقاها منه « حسنا فعلت يا خديجة ، ان المدينة ليست هي الثقافة فحسب بل هي السلوك ، السلوك الذي يعبر عن انسانيتك ، السلوك الذي يبرز حريتك وكرامتك .

منيب ـ ولماذا تسخرين ؟ اولا تصدقين هذه الحقائق ؟

خديجة ـ (بحنق مكتوم) نعم ، هذه الحقائق ، هذه الحقائق ، لو أن أحدكم مرة طالب نفسه بأن يدفع ثمن حقيقة واحدة ينشرها لسانه الا الاجرب هنا وهناك ..

ان احدكم مرة طالب نفسه بان يدفع ثمن حقيقة واحدة ينشرها لسانه هل وقع حادث لك يا خديجة جعلك تنكرين حياتك الماضية فجأة ؟

خديجة ـ (صائحة) وكيف أدركت أنني أنكر هذه الحياة .. اواه .. أنا لم أصنع أتفه حادث من حوادثها الا وكانني أقلب الارض عاليها سافلها . فاذا كان أتيح لفتاة أخرى من شوارع مدينتكم النظيفة أن تتنزه مع صديقاتها ، وأن ترتدي الاثواب القصيرة وتسرح شعرها بالطريقة التي تريد ، وأن يكون لها أصدقاء من الشباب وغيرهم ، وأن تدخل السينما وتشتري الكتب وتناقش في شتى الموضوعات الادبية والسياسية ، اذا أتيح لها أن تفعل كل هذا ، وكأنها تقوم بأبسط حركة طبيعية من جسدها ، فأنا كان علي أن أشعل ثورة بعد كل خطوة أقوم بها من أجل أن اكون ما أنا عليه الآن .... من اجل ان اكون مثل اية فتاة طبيعية اخرى هنا ..

(فترة صمت ، تجول خديجة بعينيها في أرجاء الغرفة كمن تبحث عن شيء ، تخفت أشعة المغيب ، وتحل على الجدار الجانبي مقابل النافذة في الزاوية المقابلة ظلال شبه معتمة ـ تصدح موسيقا تزيد في جو الابهام ، وينقطع حوار مقطوع الصلة ، يتحدث كل منهما بلسان داخلي. تظل خديجة تحوم بأنظارها ثم تتحرك بصورة تلقائية بفعل جاذبية غريبة .. تقف في منطقة شبه الظل ، الظلال الشاحبة تنعكس على وجهها من النافذة ، يتحرك منيب جهة النافذة ، يسد بحجمه بقية الضوء، يحاول أن يغلق النافذة) .

خديجة ـ (بصوت ملسوع مختنق) لا تفعل هذا ..

منيب ـ ماذا ؟ ...

خديجة ـ لا تغلق النافذة ، لا أريد ، لا أريد ، احب أن أظل هكذا من بعيد على موت الشمس .. من هنا ، من هذه الغرفة العالية في الجبل ، أظل كذلك على موت المدينة .. اواه السقوف البيضاء ، والاشعة الصفراء ، وغمام الانفاس ، انفاس الشوارع المكتظة هناك حيث تنعقد فوق المدينة كغيمة زرقاء ، تمتص الضجيج ، تبخر قذارة الانفاس ، ولكنها تظل رابضة على صدر الساحات والشوارع السوداء ..

منيب ـ (يتحرك لصق جدار النافذة ، يلصق ظهره بالجدار ، ينبعث صوته جافا) لقد انجزت الكتاب . كتبته كله .. ثلاثمئة صفحة .. ملأت الصفحات البيضاء ، كم كانت تتحداني بفراغها الصقيعي ذاك .. وهي تحملق بي أن أكتب .. أكتب ..!

خديجة ـ الشوارع لا أرض لها ، أرى رؤوس بعضها صلعاء ، بعضها سوداء السقف ، شقراء السقف ، كل الناس في المدينة مسقوفة رؤوسهم جيدا ، قد تميع في النهار تحت شمس آب ، وقد تبرد في الليل ، ولكن الرؤوس تظل محمية جدا ، الافكار في سجنها دائما والآمال مكورة في الداخل ، والعيون منخفضة نحو اسفل ... اوه سئمت جحوظك ..

منيب ـ ينبغي أن أحملق أكثر .. لم أعد اراك ، أريد ان اغلق النافذة ، سأوقد مصباح المنضدة .

خديجة ـ لا ضوء هذا المساء ..

منيب ـ لن أضيع مصباحي ، انه ينتظرني فوق مكتبي .. هناك ، أترينه .. لا بد أن أجلس أخيرا وراءه ، وأسحب أوراقي ، وأبحث عن قلمي .. آه قلمي محطم منذ زمان ، لم أجد من يصلحه لي في دمشق كلها .. أنا لا أكتب ، لا أكتب ، لا أعرف الكتابة بغير قلمي ، قلم تحطمت ريشته ..

خديجة ـ اوه .. أنت لن تستطيع أن تفعل شيئا ، لست أدري كيف التقيت بك .. ومع ذلك ، انك ادانتي اليوم ، أنت تهمتي الكبرى..

منيب ـ (يبحث في أوراق مكتبه بحركة عشوائية) سوف أبحث عن قلمي ، لا بد أن أنجز كتابي .. لقد مزقت آلاف الصفحات بعد أن عرفتك .. ليتك تدركين يا خديجة .. بل أنت وحدك من كان ينبغي أن يفهمني .. كنت بدون آخرين قبل أن تقبلي نحوي في زاوية من الضجب .. كانوا يلهون .. بعضهم يشرب ، والآخر يضحك ، وأخوك ، يدير حفلة ماتعة .. حفلت بكل الناس الا بمن كنت أتمناه ، بكل الضحك ، الا بالضحكة التي تجعلني أفرح حقا ، بكل الرقصات ، الا برقصتي الصامتة الشاحبة رقصتي أنا .. فجأة رأيتك .

(أنوار المسرح تظلم بالتدريج ، وتعلو بالتدريج أيضا ألحان راقصة وصخب احتفال ، عودة الى الماضي ، منظر جانبي لحلبة رقص .. وان أمكن عكس بعض خيالات الراقصين من جانب المسرح المخفي، تعود الاضواء الى انارة موزعة تكشف عن منيب وخديجة ـ الحوار كالصدى البعيد ـ يظل الجو مغلفا بشبه عتمة) .

منيب ـ من أنت ؟ ..

خديجة ـ لا تقترب اكثر .. اخشى وجهك الغريب ..

منيب ـ ابتسامتك ملأت ظلمة هذا الليل بالوداعة ..

خديجة ـ أمض عني .. اوه .. انك لا تعرفني ..

منيب ـ ما اسمك ...

خديجة ـ لا شأن لي بك .. أمض عني ..

منيب ـ وهذه الابتسامة .. يا للصفاء ! كنت أحسب أن الارض أتفه من أن تشرق فيها مثل ابتسامتك هذه ..

خديجة ـ سيراك الناس .. أخي يراقبك ..

منيب ـ قولي له كفاك ! لقد اكتشفت دربي ..

خديجة ـ وهل يمكنك أن تكون أنت دربي ؟ دربي ، الى أين ؟ أنا فقيرة ..

منيب ـ أحب أن أنظر الى عينيك .. أحب أن أغرق في هذا الاتساع .. أي سهل غبت عيناك ..

خديجة ـ سهل أبي .. سهل قريتي .. انه بعيد ، أخضر رهيب ، لا تستطيع أنت أن تحيط به ، مهما حدقت به . انه الدنيا الخضراء ..

منيب ـ آه أنا لا أرى الا البشر ، الجبين المفضن ، والعيون المتعبة ، العليلة النظرات بالشك ، والافواه التي لا تنفتح الا عن أقبية .. فيها كل الوجود معتق النتن ... من أين جبينك هذا ؟ .. كيف يسطع ، كيف تقبل عيناك على الارض .. الارض المخيفة بمثل هذه البراءة ، من أين أنت ؟

خديجة ـ أنت تخيفني ، لن تعرفني ، لن تستطيع أن تمسك بي ، بربك دعني منك ، انك تخيفني ، هل يعرفك أخي ؟ قال لي ان جميع أصدقائه في المدينة مثل ابو حمدو رجال طيبون في قلوبهم ، وان كانت ملابسهم ملونة ، وحركاتهم معقدة .. مثل أبطال مسرح العرائس يتحركون بخيوط تأتيهم من عل ، من أيد ماهرة ، خفية غريبة .. ما هو مسرح العرائس ، أتعرفه أنت ؟

منيب ـ أيمكنك هذا حقا ؟ أيمكنك .. قولي بحق الشيطان !

خديجة ـ لست أدري ما الذي يخيفك بي .. انك تربكني بهذه النظرات .. اولم تر فتاة قبلي ؟

منيب ـ ؟ .. صحيح .. ربما ... أعتقد انني لم أر انسانا قبلك ..

خديجة ـ انهم يرقصون .. أتعرف ..

منيب ـ ماذا ؟ الرقص ؟ لا بد أنه محاولة مصطنعة لكي يصاب الناس بالدوار .. لست أفهم لماذا نحب في هذا الزمان أن ندوخ ؟ كل شيء أفجع ما يمكن في التحديد في الانوار ، في الخطوط والاشكال ، ومع ذلك ندور ، ندور نود لو نقضي على النور .. نهدم الاشكال ، نقطع جسور الحوار بيننا ، ونغرق هكذا في زوبعة الدوار ..

(يحاول أن يحيطها بذراعه) ..

خديجة ـ لا تمسك بي هكذا أرجوك .. لا أود .. أخشى أن أتقدم هكذا بقدمي المتعثرتين ، انني لا أتقن ، لا أتقن الدوار ..

منيب ـ أما نزلت الى المدينة ؟ فلا بد لك اذن من دوار .. دوار .. دوار .. كلهم يرقصون ويفقدون حس المكان .. ويهدمون الخطوط والمسافات والالوان ، ويعدمون هكذا كل الارض مدى دورة مع خصر من حنان وموت ورعب ..

خديجة ـ أنا أتيت المدينة حديثا .. أخبرني كيف يكون الرقص .. نحن في البراري نرقص جميعا وأيدينا متشابكة .. أنتم هنا اثنان اثنان .. مسافات من الظل والصمت والغربة البكماء تفصل بين كل اثنين .. اثنين .. اثنين .. نحن نرقص جميعا .. ولذلك لا نصمت ولا نخاف ..

منيب ـ ضعي يدك على يدي ..

خديجة ـ كلا .. أود لو أننا جميعا نتلامس أيدينا .. تنعقد اجسامنا في حلقة واحدة ..

منيب ـ للاسف .. هنا .. ينبغي أن تفصلي يدك عن الآخرين .. لا بد لك من واحد ... من وحدة .. من رقصة مظلمة في فضاء الايقاع الاجرب .. ينبغي أن تحزني .. اوه او تعرفين الدمع ؟ كلا ليس هكذا يا صديقة .. ينبغي أن تبكي كذلك في المدينة لوحدك ، برعب ، بصمت ، كما لو أنك غريبة ..

خديجة ـ صحيح أنا أحس انني غريبة هنا ، او تحس أنت كذلك ؟

هذا عجيب ، أنت ابن المدينة تحس معي أنك لست في أرضك ..

منيب ـ في المدينة .. يا .. آه ما اسمك ، فليكن اينها الصديقة .. دعيني أسميك هكذا .. ماذا كنت أقول ؟ حقا .. حقا .. ان في المدينة غرباء ، شعبا من الغرباء .. ثم اتمنى لو تنقضي هذه الحفلة ، أترقصين ، بربك هيا بنا .. لا تخشي شيئا .. سوف نضيع في زحام الراقصين .. ولن يعرف أحد ما اذا كان أحد منا يعرف أو لا يعرف الرقص .. هيا الى الزحام ..

خديجة ـ لا تمسك بي هكذا .. أتعرف أخي ؟ انه يملك كل الحقائق ، يعرف الشوارع .. وأسماء الحانات ، ودور اللهو ومواعيد الافلام .. وأوقات الحفلات الخاصة . انه يفتنني وهو يحدثني عنكم، أود لو أن اكون مثلكم .. هذا الصخب يخيفني ، يجعلني أتيه بين كل الوجوه ، كل البسمات ، كل الايدي المتحركة حول القامات .. من انت؟..

منيب ـ لا تسأليني .. انني أبحث عن شيء ...

خديجة ـ ما هو ؟ ..

منيب ـ قد لا أوفق بأن أشرحه لك .. ان له مثل ابتسامتك على الاقل ..

خديجة ـ أو أبتسم أنا حقا ؟

منيب ـ آه .. بل انك تشعين على العالم نورا كاشفا بهذه الابتسامة ..

خديجة ـ كنت أظن نفسي قبيحة .. مقفولة الفم .. لا تعرف كيف تتكلم ، كيف تبتسم ..... أأتكلم جيدا ؟

منيب ـ عن أي شيء ؟

خديجة ـ عن أي شيء .. عن الرقص ، عن السخرية .. اوه عن سخافتي أنا ، أحس انك تهزأ بي ..

منيب ـ أهزأ .. هذا واضح ولا ريب ، ولكن ممن أهزأ ؟ تلك هي مشكلتي .. أنت مثلا .. تدفعينني الى الهزء .. ولكن أأسخر منك ؟ أوه .. ما أصفى هذه النظرة .. انها شارع بدون منعطف ..

خديجة ـ أو قل انها خضرة آذار ..

منيب ـ لا أعرف الخضرة .. لم أذهب الى الريف .. عشت محاصرا دائما بالاحجار الشاهقة ..

خديجة ـ انك تمس .. تمس .. لا تعرف كيف تخضر الارض ، وكيف يدر الموسم ، وكيف تموت الارض .

منيب ـ حقا .. انني أهتم بالانسان ، وأطأ التراب ، والارض الخضرة والصخرة ، الجدب او الخصب .. أشياء ، اشياء ابتدائية لم أعد أهتم بها ..

خديجة ـ بل لم تعد تفهمها .. انفك وعيناك وأذناك .. كل هذه القطع من اللحم المشقوقة الى خارج ، لم تعد تصلك بأي شيء آخر .. غير نفسك .. أواه .. لكم أخافتني هيئتك ، وأنت مقبل نحوي ، وبيدك كأس لا تنتهي أبدا من سائلها.. كانت عيناك مغمضتين الى داخل، وقدماك تجران جثتك النحيلة نحوي بثقل الجبال حول سهلنا .. اتدري .. أتدري .. كنت كلما انطلقت في السهل تلقاء الجبل .. أحسست أن الجبل هو الذي يقترب مني .. أوليس هذا مضحكا ، ولكنني عندما فوجئت بك وأنت تدب نحوي بخطى ثقيلة أشبه بخطى الجبال حول سهلي وهي تلتهم أفقي الاشهب حول عيوني ، شعرت أن الامر ليس مما يدعو الى الضحك . لقد كنت أنت الذي تقترب مني فعلا ، ولم يكن ذلك وهما .. لقد أرعبتني ـ تبدو أشد عبوسا من الجبال .. كنت صغيرا ، ولكن ظلك في نفسي هو ظل الجبل .. كم كنت أختنق في هذا الضجيج !

منيب ـ المرأة كالعقرب .. تود أن تشق طريقها ولا بد ان تلسع من يقف في طريقها ..

خديجة ـ لن ألسعك .. هكذا تقول الاغنية ، لا لا أود أن ارقص .. أنا لا أعرف هذا الايقاع .. انه أشبه بزئير الذئاب الجافة في أوقات الشتاء .. أكرهها .. أكرهها ..

(صوت جاز عنيف) ..

منيب ـ أحب ابتسامتك ، ما زالت أصدق حادثة في هذه الليلة ، هل تثقين بي ؟

خديجة ـ أنا لا أعرفك .. ولكنك حزين ومرتبك مثلي .

منيب ـ هل سأراك دائما في هذه الحفلات ؟

خديجة ـ هذا يتوقف على ارادة أخي .. أنا لا أعرف بعد كيف أقرر أن اجيء ، أو أبقى هناك ..

منيب ـ أين .. هناك ؟

خديجة ـ انتصف الليل .. ولا بد أن أعود الآن .. الى .. هناك ..

منيب ـ انتصف الليل .. ها هو مبدأ الحياة ، كل شيء يموت ويحيا في ذروته .. أحب منتصف الليل ....

خديجة ـ منتصف الليل .. الناس ينامون فيه ملء جفونهم ..

منيب ـ هاهاها .. أعرف ذلك .. ولكن ما رأيك اذا لم يكن الناس يعرفون أخيرا كيف يلقون أقل سانحة من النوم .. حتى في منتصف الليل ؟

(تتلاشى الظلال الراقصة من على الجدران ، يعود المنظر الى غرفة منيب، خديجة واقفة تنظر بين قدميها ، ومنيب جالس قرب مكتبه الصغير يحملق في الفراغ ، تعود موسيقى هادئة توحي بالغروب الحزين ..)

خديجة ـ هذا لم يعد له وجود الآن .. انك تغيظني عندما أراك جد رومانسي في هذه اللحظة ، انظر الى شبه صلعة تكشف سقف رأسك .. أتذكر .. ما زلت مغرمة بالبحث عن أنواع سقوف الرؤوس.. لم يعد ثمة ما يؤذن ببداية ليل او منتصف ليل أو نهاية ليل . كل ما أدركه الآن انني أواجه رجلا جبانا ..

منيب ـ (يمسك بوريقات بيضاء) سأكتب عن أشياء كثيرة ..

خديجة ـ (تلتفت بسرعة مفاجئة نحو ساعة معلقة) سوف أنذرك : الآن .. انني على وشك أن اقتل ..

منيب ـ سوف أجد النهاية قريبا .. أتدرين يا حبيبتي ، ان عظمة

في المكتبات

مع الإمام علي

من خلال «نهج البلاغة»

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي يتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تأليف

خليل الهنداوي

منشورات
دار الآداب

كل قصة في الحياة الواقعية هي البداية .. وأما في الأدب ، فان هذه العظمة تكمن كلها في النهاية .. ما زلت أبحث عن نهاية ..

خديجة ـ لن تجدها .. القصة الواقعية هي التي تظل تحتاج الى بداية .. انني أنا نفسي بداية وجودك على أرض التراب والظلم والسواد ..

منيب ـ ماذا تقولين يا حبيبتي..سوف أكتب لك روايتي الاولى..

خديجة ـ اكتبها الآن .. هيا أسرع .. لن تلقاني بعد ساعات .. تعرف كيف تجز رقبة البقرة المستكينة : هكذا سوف يفصلون رأسي عن جسدي ..

منيب ـ الموت... ان يموت انسان .. ان يختفي شخص وحيد من عالم وحيد آخر ؟ .. معنى هذا أن الحقيقة قد ابتدأت فعلا .. أين ابتسامة السذاجة يا خديجة ؟

خديجة ـ قلت لك انني مقتولة ..

منيب ـ (يقفز خطوتين للامام كمن يرقص) ومن منا ليس بالمقتول؟ انا مثلا ، مقتول قديم قديم .. لا أعرف سفاحي .. ولكنني أحس دائما بالنصل الابيض الرشيق يحز رقبتي من داخلها .. سكين نبتت مع لحمي .. نمت وشبت مع لحمي ...

خديجة ـ لقد حكموا علي بالذبح أيها المأفون ...

منيب ـ ما كنت تعرفين مثل هذه الالفاظ .. اواه .. أريني هكذا وجهك أفضل .. دعيني أشعل الضوء الكبير ..

خديجة ـ (بذعر صارخة) كلا لن تفعل هذا ..

منيب ـ أين أضعت طمأنينتك ؟ الخوف قضى على براءة عينيك ، انك تشكين في كل شيء يتحرك حولك ، لا تخشي شيئا مني .. أنا لن اقتل ذبابة ..

خديجة ـ أنت .. أنت .. ان قدر ان تكون قاتلي ، فسوف أنتحر قبل أن تلمسني يداك .. استمع الي جيدا .. انهم يتهمونني بك ..

منيب ـ وأنا أتهم الانسانية كلها بالشيطان ..

خديجة ـ نعم نعم .. لا بد أن الآلهة قد تنصلت من مسؤولية كل هذا ..

منيب ـ ماذا تقولين ؟ ...

خديجة ـ لا شيء .. تابعت فكرتك فقط .. أتممت ثرثرتك .. انك أضعف من أن تحتمل حتى ثقل أفكارك الشخصية .. لست أدري ما الذي يجعلني ألجأ اليك في محنتي ، وأنا واثقة حقا أنك لن تزيد محنتي الا سوادا .. ايها المتشرد ، عشت حياتك متبطلا .. وأغريتني أن احب المتشرد معك .. كنت تقول « لست أدري لماذا لا أنتحر ، انني أسلك سلوك المنتحرين غير أن قلبي يظل يضرب .. ضربات الحياة بين جنبي ، انا لا أكره الحياة .. ولكن ما أروع الموت في بعض اللحظات ، في بعض اللحظات أحس أنني من شدة ما أحيا لم يعد يرضيني غير الموت نفسه » أما زلت تذكر ذلك ، انك تدهشني .. بل ان حبي لك لم يكن الا دهشة بدأت ولما تنته .. انك تحيطني من كل جانب بوجهك الاصفر . لولا عيناك لحسبت أنك مومياء .. بل ما أشد ما أرعبتني هيئتك وأنت نائم احيانا .. تغمض عينيك .. وعندئذ لا يبقى غير جلدك الاصفر ، مشدودا على جمجمتك .. وأنفاسي خافتة ، لا تحرك من سكون الهواء حولها ابدا ..

منيب ـ (يجول بين الباب والنافذة بحركة عابثة) أنا جمجمة إذن .. جمجمة مغطاة جيدا بجلد أصفر .. سوف أكتب هذا ، سوف اخلع هذه الصفات على بطلي الاول ، تصوري أنه سوف يطل على حبيبته الضائعة من كوة الحمام ، وعندئذ لا بد أن تقع مغشيا عليها سيتولد الحب من الخوف ، هذا حق .. سيتولد الحب من خوف ..

(يدور منيب بحركة مفاجئة نحوها ، ويأخذ وجهها بيديه)

منيب ـ قولي لي ... هل أنا مخيف ؟ هل تخافينني يا خديجة ؟

(خديجة مستسلمة للحظات ، ثم تنتفض متحررة من يديه ، وتقف قرب المنضدة)

خديجة ـ كنت أشك أنك سوف تفتديني يوما من الايام ، وها أنا الآن .. أوه .. ماذا أقول ؟ لقد ألقيت بي وحيدة الى أنيابهم ..

منيب ـ من هم ؟ ...

(يسمع طرقات على الباب) ..

منيب ـ (وهو ينطلق نحو الباب) لا تخشي شيئا ، انه أخوك ، وقد دعوته منذ ليلة الحفلة الماضية أن يشاركنا عشاءنا .. لا تحتجي .. انه يفهم .. يفهمنا ..

(يفتح الباب ـ يدخل ابراهيم في حركة عجماء لا معنى لها .. وتمضي خديجة نحو الكرسي فتجلس عليه ، وتتلهى بالنظر الى جريدة ـ يتمشى ابراهيم جيئة وذهابا . منيب يراقبه بلامبالاة .. تمضي لحظات ثقيلة . يقف ابراهيم فجأة ، يتوجه اليهما معا) .

ابراهيم ـ حسنا ، قولا لي اذن ماذا قررتما ، ها أنا بينكم الآن ، انني أعجب كيف تصبح أمورنا فجأة على مثل هذا التعقيد .. لقد قامت الدنيا فجأة ، والعالم في الخارج يطاردنا جميعا ..

(تهب خديجة بعنف وتقف بين الرجلين ، تخاطب أخاها ..)

خديجة ـ كلا .. لن تستطيع أن تزيف الحقائق بهذه السهولة .. أنت لست منا ، ومنيب ، منيب هذا الفتى الرقيق الحزين ، لا يعرف كيف يدافع عن أحد الا عن عزلته وصمته .. فاذن لم يتبق نتيجة الحساب الا أنا .. أنا وحدي ..

منيب ـ ومن نحن اذن ؟

خديجة ـ أنتما .. عبارة عن متفرجين .. متفرجين .. كل حادثة لا بد من متفرج عليها .. وأنتما سافتكما الاقدار لان تكونا الشاهدين الوحيدين على قصتي ..

(ابراهيم ومنيب يتبادلان النظر فترة ، ثم يكسو الجد الحازم وجه ابراهيم ويمسك بيد اخته ، يأخذها الى الكرسي)

ابراهيم ـ هكذا أفضل ، يحسن بك أن تتحدثي وأنت جالسة هناك، سأقول أنا شيئا .. هل لديك كأس ما .. اذن ائتيني بها بسرعة .. اوه ، يا لهذا الحر .. أتى الخريف ولم يرحمنا الطقس بعد .. لماذا لا تفتح النافذة ؟

(ينطلق ابراهيم الى ركن في الغرفة ، يملأ كأسا بالماء من ابريق رملي مغطى بقطعة من القماش ..)

خديجة ـ (دون أن ترفع أنظارها عن الجريدة) الحر في الخارج أشد ، ستدخل علينا هبة من الجحيم .

ابراهيم ـ (بحركة عصبية بعد ان شرب الكأس) لا .. انني ابغض جو الظلال ، بينما ما زال نور الغروب في الخارج يملأ الشوارع.. ما هذا الصمت ؟ لا شيء .. لا شيء .. كل ما هنالك أنني متعب قليلا، لقد خرجت توا من اجتماع العائلة ، كان شيخ الضيعة معنا كذلك ، وكان حسين ابن عمك ، وكان سعيد بك .. الى جانب أولاد العموم والخؤولة وأولاد أولادهم .. وأولاد الـ ... لست أدري من أين هبت هذه الرؤوس دفعة واحدة ، من أية جحور سحبت عيونها المظلمة ، وتحلقت كلها حولي .. وتلك الالسنة .. لعنها الله . تلك الالسنة كانت كالسياط النحيلة الحمراء، تخرج من أقبية افواههم المنتنة .. وتلسعني ، تلتف حول عنقي ، تنعقد في الهواء الف عقدة .. يتطاير سمها هنا وهناك .. انهم مجتمعون ... مجتمعون .. الاقارب وأصدقاء الاقارب والعشير وحتى الاقطاعي .. مجتمعون .. وهذا ما يعطيهم كل قوتهم .. انهم صخرة واحدة من العنف والطغيان .. انهم موجودون .. موجودون .. بثقل الارض على قرني ثور .. وبعد .. لم يبق لي الا أن أفنى .. أتبدد مع الصخب ، بين العيون ..

خديجة ـ (رمت الجريدة ببطء ، قامت ووقفت قبالة ابراهيم) « اذن لقد حكموا علي .. يا صديقي أليس كذلك ، وأنت .. أنت لم تأت الى هنا الا لكي تلقي علينا بيأسك .. بقي أن أعلم الآن من سيكون المنفذ .. لا تقل شيئا ، انك أنت ، أنت ومن غيرك .. انك رب العائلة .. ورب العائلة وحده مسؤول عن شرف نسائه أليس هكذا تقول شرائعنا ؟ ..

(تصمت برهة ، ترفع رأسها ، تلقي بيدها الى ظهرها) »

خديجة ـ (صارخة) هيا .. اكشف عن نصل سكينك .. اخرجها

من بين ثيابك ، لا بد أن لهامكانها هناك .. لا يمكنك أن تختلف عن الآخرين .. عن آبائك وجدودك .. الرجل منكم يأتي بعد صلاة العشاء ، يلقي التحية على زوجته ، وهو ينتشل سكينه من بين ثيابه ، يخفيها وراء ظهره ، يقبض على جدائل زوجته يجمعها بين يديه .. ويجرها الى الدار ، الى الفسحة تحت السماء .. وهناك يرمي بها الى التراب ، يضع ثقل ركبتيه على كتفيها ... ويصرخ باسم الله .. ويجز رقبتها .. ويفصل في ثوان رأسها عن جذعها .. ونساء البيت الاخريات ، يلمحن نافورة الدم على ضوء النجوم ، ويسمعن صرخة الرجل باسم الله . فيطلقن من مخابئهن الزغاريد .. والقرية الصماء تستحيل بعد قليل الى عرس . ويخرج الرجل ، رافعا سكينه.. تنقط دما .. ويسير بين الرجال الهازجين ليتقبل التهنئة والكرامة السليبة منهم .. اني أتخيلك يا ابراهيم ويداك ملطختان بدمي ، وشعري ، شعري الذي طالما أحببته قد عجن بالدم حول أصابعك .. وبذلك هذه البيضاء سوف يستحيل لونها الى حمرة طينية .. وقد ..

منيب ـ كفاك .. ابراهيم لن يفعل هذا ..

خديجة ـ (ساخرة) ما أدراك انه مخير الآن بين أن يفقد رجولته أو يفقدني حياتي ؟

منيب ـ وما علاقة هذه الرجولة بحياتك ؟

خديجة ـ انك لن تفهم هذا بسهولة يا صديقي .. لقد ابعدتك المدينة كثيرا عن اصولك الوحشية ..

ابراهيم ـ (باصرار حزين) ليست هذه وحشية ..

خديجة ـ بم نسميها اذن ؟

ابراهيم ـ انها مجرد جهل .. جهل ..

منيب ـ وبذلك تخلع عن الجميع أية مسؤولية.. لا شك انهم جهلاء، كالعقارب والتماسيح والافاعي والميكروب .. هذه جميعها حيوانات عجماء تقتل ، وتلسع ، وتبتلع .. ولكنها معذورة ، لان طبيعتها ركبت على هذا، وهي لا تدري من أمر هذه الطبيعة شيئا .. قل لي .. وما دوري أنا في هذه القضية ، هل ينالني حكم القرية ؟

خديجة ـ (بنوبة هستيرية من الضحك والبكاء معا) اجل يا صاحبي المسكين ، لا بد من جز رقبتك ، يا خروفي الجميل .. الست عشيقي . ولكن لا .. صبرا .. انهم ينزهون الرجل دائما . الرجل لا يتلوث ، يلوث ولا يتلوث كالمكروب تماما .. ينبغي ان تهرب ، ان تفر.. فرارك وحده كاف لان يميت حكمهم عليك .. لا شيء يقتلع الخطيئة .. من المرأة .. أفما رأيت ؟ الرجل ، هو الذي يلوث وهو الذي يحكم وهو الذي ينفذ ، هو الذي يفقد الشرف ، وهو الذي يسترده ، كل ذلك وامرأة مشدودة الشعر تلوب بين شفتيه وسكينه ..

منيب ـ (بصرخة مصطنعة يجهد ان يضع فيها الصدق) لن أتركك يا خديجة .. سأكون معك ، ولو تخلى عنا معا ابراهيم ..

ابراهيم ـ ومن أوحى اليك انني سأتخلى عنكم ؟. أنا معكم ، ملتصق بكم ، ليس من قوة تفصلني عنكم .. اننا جميعا الحاكمون والمدانون .. والآن تعالا الي .. نعم هنا .. هنا قفا الى جانبي .. قولا لي الآن هل أحببتما بعضكما حقا ؟

خديجة ـ (بضحكة مجلجلة) يا لك من رجل مخيف يا اخي .. لم أعد أعرفك .. ماذا فعلوا بك ، حتى أصبحت بين عشية وضحاها هذا الرجل المهموم جدا ، التعب .. الذي يحاول أن يخيفنا في هذه اللحظة .. وماذا يهمك من هذا السؤال ؟

ابراهيم ـ اذن تزوجا حالا .. فقد يضع هذا حدا للاخرين وأحكامهم ..

خديجة ـ أنت تعلم أنهم لن يرضوا بالزواج .. ولو رضوا هم .. فانا لن أقبل .. لن أختبىء بالزواج .

ابراهيم ـ (يخاطب منيب بيأس) وأنت يا منيب .. أما كنت تنوي الزواج منها ؟ قل .. لقد سمحت لكما أن ..

خديجة ـ (مقاطعة) لم تسمح لنا أنت .. لقد فعلنا ما أردنا أن نفعله شئت أم أبيت .. لا تنس أنك أنت نفسك علمتني هذا .. علمتني ان آخذ أموري بنفسي .. قلت لي ذلك هو جوهر المدينة .. انها تعني خلق الفرد ، والانسان ليس هو الا الفرد .. وما دام الفرد قد ألقى بوجوده الى الجماعة والتصق بها فلن تكون له ثمة انسانية ، انه عضو من الفرائز في قطيع .. أنت علمتني هذا منذ أن مات أبي .. واخذت تدربني على حياة المدينة ، وتعرفني على أصدقائك ، وذهبت بي الى الحفلات والمحاضرات .. حتى كان أن التقيت بمنيب .. وكان رجلي الاول ...

ابراهيم ـ الست تحبينه ؟ أليس هذا حبا حقيقيا يا خديجة ؟. تزوجي منه اذن .. تزوجي ، هكذا تسهل الامور ...

خديجة ـ ربما كنا سنتزوج .. وأما الآن .. فلا ..

منيب ـ لا تجعلها تأخذ موقف التحدي يا ابراهيم .. ثم ان مسألة الزواج لا علاقة لها بالحب .. ربما تحابينا .. ولكننا لم نفكر ...

خديجة ـ صه يا هذا .. انك تخجلني فجأة ، أحس كأنني كنت ضحية ..

ابراهيم ـ نعم هذا هو الواقع .. هناك ضحية ، ولكن من تكون منا نحن الثلاثة .. هذا هو السؤال ..

خديجة ـ (تتجه نحو منيب ، تضرب بيدها على صدره) « لن أكون أنا الضحية .. أكره هذه الكلمة .. قل لي ذلك ، انك انت وحدك من دون العالم أجمع ، من يعرف براءتي .. قل ان هذه البراءة لن تضيع، لا أحب لها أن تكون الضحية ..

ابراهيم ـ الوقت يمضي بسرعة .. علي أن أعود بك الى القرية الآن ...

منيب ـ (منتفضا وقد أخذ بخديجة الى خلف ظهره) ليس الآن.. انت لم تصمم بعد على فعل .. (هذا) .. أليس كذلك .. انك غير مصمم ، والا لما كنت بيننا هذه الليلة ...

ابراهيم ـ دعها تقرر هي .. وعلى كل حال ، لن يحدث شيء هذه الليلة ..

منيب ـ لن أدعها تذهب معك !.

ابراهيم ـ هي التي ستأتي معي ..

منيب ـ (نحو خديجة) أصحيح ما يقول ؟ ..

خديجة ـ لا بد من ذلك يا منيب ..

منيب ـ ماذا تقولين ؟ .. وانت كذلك ، ماذا أصابك فجأة ؟. أتستسلمين بهذه السهولة ، كنت اعتقد نفسي جبانا أمام شجاعتك ..

خديجة ـ (بسخرية) لا محل في هذه المسألة للشجاعة والجبن.. كل شيء محتوم ..

منيب ـ بل قولي .. كل شيء سيتكرر ويتكرر كما كان من آلاف السنين ..

خديجة ـ (بشكل آلي) كل شيء سيتكرر ويتكرر كما كان منذ آلاف السنين .. منذ أن جزت رقبة اول انثى من أجل الهة كلها من الذكور .. وتجز اليوم من أجل ذكور كلهم الهة ..

الفصل الثاني

(بهو بيت ريفي) ودوواين طويلة وبضعة كراسي من القش ..)

حسين ـ حسنا فعلت يا ابراهيم ، كنا نحسب أن خديجة قد فرت من أيدينا الى الابد .. لا بد أنك كنت ذكيا حتى استطعت ان تتغلب على خبث هذه البنت وفسقها وتأتي بها الى هـ..

ابراهيم ـ لا تدنس اختي بشفتيك القذرتين ..

حسين ـ لم تعد أختك ، لم تعد بنت عمنا ، انها رجس من عمل الشيطان ، علينا أن نتخلص منه بأسرع ما يمكن ..

الشيخ منصور ـ لا يا حسين .. دع ابن عمك ، لا تثقل عليه أكثر، كل شيء مقدر ، ولا بد أن ينفذ المقدور .. لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ابراهيم ـ أنت شيخ هذه القرية .. أنت المختار .. انت تمثل

ـ التتمة على الصفحة ٤١ ـ

رجال محاصرون

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٩ ـ

القانون فيها .. فكيف تسمح بوقوع جريمة تحت سمعك وبصرك ؟

حسين ـ (مندخلا) ليست هذه جريمة ، كيف تفسد اخلاقك بهذه السرعة يا ابن العم .. كل ما هنالك ان ساقطة لوثت شرف العائلة والبلدة وينبغي أن ..

ابراهيم ـ ايها المتجبر .. ايها المأفون .. قلت لك لا تصف اختي بهذه الكلمات التي يخترعها عقلك المجرم .. لو كنت جريئا حقا ، لو كنتم جميعا ابطالا تدافعون عن الشرف ، لبحثتم عن المجرم الحقيقي .. لما فررتم منه الى امرأة ..

الشيخ منصور ـ من هذا المجرم يا ابني .. يا ابراهيم ؟.

حسين ـ لا تعر انتباهك الى مثل هذا الهذر ، ابرهيم يجرب لعبة جديدة ..

(يقف ابراهيم قبالة حسين متحديا)

ابراهيم ـ (بعد لحظات من الصمت) انه انا يا حسين .. انا .. انظر الي جيدا ، الا تعرف ابن عمك ؟ الا تدري انني انا الذي مهدت لاختي طريق ان تحيا في المدينة .. الم احملها على مرافقتي الى المحاضرات والحفلات ، الم أقدم اليها اصدقائي .. انتم مجانين .. ما بالكم تخشون من مواجهة الوقائع ؟ لماذا تحملونها وحدها اوزار الاخرين ؟

حسين ـ (مشيحا بوجهه) نحن نعلم امرا واحدا ، هناك فتاة فقدت عفافها ..

ابراهيم ـ ومن جعلك تتاكد أن خديجة قد فقدت عفافها ؟.

حسين ـ كل الضيعة تعرف ذلك ..

الشيخ منصور ـ (يقف بينهما) هدئا من روعكما .. علينا أن نقرر الحقيقة .. فلسنا متاكدين من شيء بعد . ولكن يا ابراهيم الم تعاشر اختك رجالا غرباء ؟ الم تقض أوقاتا طويلة مع احدهم دون رقيب ، الم تتنزه معه ، الم تراقصه .. في الحفلات العامة ، الم تذهب معه الى بيته ؟

ابراهيم ـ كل هذا ممكن .. ممكن حقا ، ولكن لماذا نفترض فقدان الشرف في مثل هذه التصرفات ؟

الشيخ منصور ـ كل هذا عيب كبير ! كل هذا ينال من عرض الفتاة، قبح الله الثقافة التي تتحصنون وراءها ..

ابراهيم ـ اراك يا شيخ قد بدأت تفقد صوابك انت الآخر .. ما الذي يدفعنا الى الغضب ، سوى الفشل في مناقشة الامور ؟ علينا ان نجد حلولا غير هذه .. العقاب بالذبح والضرب ، والشنق لن يفيدنا ، لن يجعلنا بشرا في أعين ذاتنا ، لن يريحنا من مواجهة الحضارة الزاحفة على عتبات صحرائنا وقرانا ومدننا .. أو تحسب أن الشر يمكن ان يقضي عليه بالشر ، انغسل الدم بالدم ؟

حسين ـ لا تخطب هكذا فينا ، لسنا اطفالا صغارا .. ثم لماذا نضيع الوقت ، لن تفيد شيئا يا ابراهيم من كل هذه الصرخات . نحن قررنا امرا ، ولا بد أن نحققه من كل هذه الصرخات . نحن قررنا امرا ، ولا بد أن نحققه ، أليس كذلك يا شيخ منصور ؟ ..

ابراهيم ـ اترك الشيخ منصور الآن .. لا تحتم به ...

حسين ـ انا لا أحتمي بأحد ، ولكن البلد تطالب كلها بما أطالب به الآن ..

ابراهيم ـ تطلبون رأس المرأة اليس كذلك ؟ لماذا لا تحاول ان تقنع الاخرين بأن هناك مجرما آخر ؟

حسين ـ سنصيد رأس الآخر قريبا ، حبيبها لن يختفي الى الابد .. نحن نعرفه ، وسوف تحين ساعته .

ابراهيم ـ أيها الاغبياء ، ما زلتم تجبنون عن مواجهة المجرم الحقيقي .. انا يا حسين ، ها أنذا منتصب أمامكم تحيطني عيونكم ، تأسرني قوتكم ، فلماذا لا تحولون انتقامكم الي ؟ أين سكينكم النبيلة ، هيا اقطعوا بها رأسي .. اقطعوا رأس رجل مرة واحدة ..

الشيخ منصور ـ ولكننا لسنا نمثل محكمة هنا ..

ابراهيم ـ ها ... اذن أنتم محكمة لقطع رؤوس النساء فقط !.

الشيخ منصور ـ الانتقام للشرف لا يؤلف جريمة ..

ابراهيم ـ لماذا يا صديقي لا تغار على شرفي أنا ، وتغار على شرف اختي فحسب ؟

حسين ـ هذا واضح .. لانك أنت مسؤول عن نفسك ، عن شرفك لوحدك اولا ، أنت رجل ..

ابراهيم ـ كلا ، انا انسان .. واختي انسان .. هل لهذه الكلمة معنى عندكم ؟

حسين ـ لا تعد الى محفوظاتك المدرسية .. تذكر انني درست معك ونلت الشهادة الثانوية معك ايضا .. فما هو هذا الانسان بالنسبة للعشيرة والبلدة ؟

ابراهيم ـ صحيح انك مثقف ، ولكنك رجعت الى الطين ، طمرت نفسك به ثانية ، لم تستطع ان تحتمل مسؤولية الشهادة ..

الشيخ منصور ـ هذا يشرفه يا ابني .. فحين يعود الى أرضه وترابه ، فانه يفعل ما فعل آباؤه وأجداده ، اولسنا فلاحين ؟ لماذا تتنكر لاصلك يا ابراهيم .. انا ما رأيت شجرة انتقلت من تربتها الى تربة اخرى واستطاعت ان تستمر في الحياة وان تعطي ثمرها ..

ابراهيم ـ (يجول في الغرفة وقد نفد صبره) يا شيخ منصور ان احدا منا لا ينكر اصله . ولكن الفلاح كذلك يستطيع ان ينحضر دون ان يفقد أرضه .. فليست حياة الزراعة تعني البدائية او الثوب القذر .. والنوم مع الحيوانات .. لشد ما تزعجني هذه البيوت الطينية ، كأنها كوم قاذورات ، قد جوفت لتكون قبوا لكائنات تشبه الانسان .. أود لو احرق هذه القرية ، أود لو أهدم هذا الكوم من القاذورات ، أود لو ادير النهر على الازقة لتغسلها نهائيا من الذباب والغبار وطبقات الجراثيم ... انتم أعداء للناس في هذه القرية التعيسة ..

الشيخ منصور ـ (وقد جلس مطرقا) رحم الله أباك.. لولاه لكنت الآن انت وخديجة وابن عمك حسين ، لكنتم جميعا تحيون في هذه الاكواخ التي تقول عنها انها كوم من الاقذار المجوفة ... فلولا اخلاصه في خدمة (البيك) لما اورثه هذا البيت الجميل ، وما يحيط به من بساتين غناء .. لولا البيك يا ابراهيم لكنت احد هؤلاء الفلاحين ذوي الاثواب الكالحة ، والأرجل العارية المسلحة بقشرة من الوسخ القاسي ، ولكنت نمت مع الدواب ، ولما عرفت قط درب المدينة .. ولما تنكرت

دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

نزار قباني شاعرا وانسانا	لمحيي الدين صبحي
قضايا جديدة في ادبنا الحديث	للدكتور محمد مندور
في أزمة الثقافة المصرية	لرجاء النقاش

لاخلاق اهلك وعشيرتك .. ولكنت الآن قد غسلت العار ورددت لنفسك وقومك الكرامة السليبة ...

حسين ـ (يمزق شيئا بين اصابعه ساخرا غاضبا) ان حضرة الطالب الجامعي يأنف من ذباب قريته وبيوتها الطينية وأزقتها القذرة .. انظر يا شيخ الى أين تؤدي به مفاسق المدينة اللعينة ..

ابراهيم ـ كفاك كذبا على النفس ، لو كانت لك بعض الجرأة لاقتحمت حقا .. المدينة مثلما فعلت أنا وفعل كل مثقف غيري .. لقد كنت دائما ضعيف الثقة بنفسك ، وكنت تخفي هذا الضعف ، بصلف خارجي مزيف ، ورحت تتغلغل في مجتمع القرية ، وفزت بسرعة بمكانة مرموقة بين جهلتها وبسطائها .. هنا استطعت أن تتاجر بالتقاليد والعادات الريفية ، وتظهر نفسك بمظهر الحامي لعادات القرية ، وهكذا استطعت ان تجعل من ذاتك زعيما على الدهماء . ورحت أنت والشيخ منصور تتقاسمان الامجاد والمنافع .. عن طريق استغلال جهل الفلاحين ، وطيبتهم .. والا قل لي ما الذي جعلك أنت والشيخ منصور وبطانته تدافعون عن عائلة البيك هنا ؟ ما الذي جعلكم تقفون صفا وحيدا مع سعيد بك .. ضد الفلاحين ، ضد مطالبتهم بحصصهم العادلة من المحاصيل ؟

الشيخ منصور ـ (يتصدى بعنف) لا هذا كثير ايها الولد الضال ... لقد حرم الله انتزاع املاك الآخرين . أفما سمعت بذلك ؟

حسين ـ نحن ندافع عن حقوق سعيد بك ، يا لك من جاحد ناكر للجميل يا ابراهيم ، نحن نحيا على هبات أبيه .. لحمنا هذا وبيتنا وما تدعيه من ثقافة ، كله من فضله علينا .. أفما اقل من ان تدافع عن ابنه المسكين الوحيد .. الذي يرعى بيتا من الحريم اللائي لا عون لهن سواه ، أمه وشقيقاته الاربع ؟

ابراهيم ـ ليذهب الى الشيطان ، هذا الشاب المخنث المائع واخواته العوانس .. وامه الارملة الطروب .. ان خمسة الإف من البشر في هذه القرية لن تساوي هذه الحفنة من سقط المتاع ، أليس كذلك يا حسين بك ؟

حسين ـ (متراجعا مبهوتا) لا تنادني هكذا ..

ابراهيم ـ ولماذا ، ألست صديق سعيد بك ، ألست حارسه وحاميه هنا .. أولم ينادك الفلاحون بهذا اللقب بعد ان أصبحوا يخلطون بينك بينه ؟ لقد عملت جابيا له ، وكانت لك دائما حصة نسبية حددتها أنت ...

حسين ـ (يمسح عن جبينه العرق المتفصد) هذه اجوري ... انها حقي .. حقي ..

ابراهيم ـ صحيح .. اجورك من السرقات ..

الشيخ منصور ـ (وقد ضرب بسبحته الى الارض وقام يهم بالخروج) لست أدري متى حشوت دماغك بهذه الاضاليل ! أو تقول عن محصول الاراضي انه سرقة ؟ او كان لنا نحن جميعا حياة لولا اراضي البيك ؟ لقد كان رزقنا دائما من رزقه .. وهو رجل تقي ، وابوه عرف انه التقي والورع من قبل .. كم وكم ساعد الملهوف منا ، وعالج المريض وأجل ديون الفلاحين .

ابراهيم ـ (متابعا بنفس اللهجة ، ساخرا) كم وكم بهذه الديون التافهة استولى على اراض كاملة ، تساوي في قيمتها اضعاف الدين الاصلي ... كم وكم جلد من ابناء بلدتنا ..

الشيخ منصور ـ كان البيك مسؤولا عن حماية الاخلاق في الضيعة . كان يجلد الفاسقين امثالك ، رعاه الله وطيب ثراه ..

ابراهيم ـ وانتم اليوم ترثون هذه المسؤولية .. لا شك ان سعيد بك ما زال شابا صغيرا .. وانتم اوصياء عليه ، انكم تفعلون ما يجب ان يفعله هو فيما لو أصبح رجلا قادرا ..

(يسمع قرع على الباب ، يدخل حارس الضيعة ، تتحول اليه الانظار ، يقف المختار معتدلا)

الشيخ منصور ـ ماذا جاء بك يا ولد ؟ ...

(الحارس يتلفت حوله ..)

الشيخ منصور ـ قل ما تريد .. ليس بيننا غرباء .. لعله حدث شيء ..

الحارس ـ نعم .. لقد حطم بعضهم محرك السيارة .. سيارة سعيد بك ، لم يستطع ان يرجع الى المدينة .. الساعة متأخرة كما ترون .. معه بعض الناس ..

ابراهيم ـ من هم هؤلاء الناس ..

حسين ـ ضيوفه ولا شك ..

الشيخ منصور ـ هيا احضرهم الى هنا ايها الابله .. ماذا تفعل.. اين هم الآن ؟ ..

ابراهيم ـ يا حضرة المختار .. لماذا لا تضيف سعيد بك و (ضيوفه) في بيتك انت .. بدلا من ان تجعل بيتي هذا مأوى له ولجماعته ؟

الشيخ منصور ـ عيب يا ابني ان تتحدث هكذا وانت ...

ابراهيم ـ لن أقبله في بيتي هو و ...

(يدخل سعيد بك وخلفه تقف امرأة يظهر منها نصفها خلف الباب ..) .

سعيد بك ـ مساء الخير .. هل خديجة هنا .. أود أن اقدم اليها خطيبتي .. تفضلي يا نهلة .... ابراهيم سمعت بالحادثة .. لست أدري لماذا أعامل هكذا في الضيعة ، حطموا محرك السيارة وليس من واسطة للعودة في هذا الوقت الى المدينة ..

(حسين يفتح بابا آخر ينادي على خديجة ..)

حسين ـ خديجة ... خديجة ... تعالي لديك ضيوف ..

ابراهيم ـ هذا والله جميل .. كيف تقبل لمحكومة بالاعدام ان تصبح في لحظة مضيفة ؟

الشيخ منصور ـ صه .. ليس هذا أوانه ..

(تدخل خديجة بهدوء وخفر)...

ابراهيم ـ ادخلي يا اختي ، لم يحن بعد وقت التنفيذ ، الجلادون لم يجلوا سلاحهم بعد .. أليس كذلك ، هذه (خطيبة) سعيد بك ، ماذا كان اسمها .. آ .. عفوا السيدة ، عفوا ثانية الآنسة نهلة .. انها من فتيات المدينة ، انظري اليها يا أختي ، كم هي جميلة ، طرية أنيقة ، انها ولا ريب من نسيج القبلات ، نسيج الشفاه الشفافة لشباب نظيفين ، تطلعي اليها جيدا ، لقد كانت تقضي الليل مع سيدنا البيك في الحقول، وحدث أن بعض « اللصوص » قد حطموا سيارة صاحبنا ، بينما كان وخطيبته غارقين في أحد حقول القمح ... آه عفوا .. لم يكونا غارقين تماما .. ولكنهما كانا يكتشفان الريف ، كان هو الشاب الطري يفخر بطريقة ما أمامها ، لانه يعرف كيف يزرع القمح ، وكيف ينضج الزيتون ، فيشرح لها كل ذلك ، وهما مختبئان بين سنابل القمح .. نوع من الدراسة العلمية ، لا بد أنها .... الآنسة نهلة هذه ، قد اعجبت بمعلومات ابن البيك المرحوم .. والآن وقد انتهى الدرس العملي ، علينا

تطلب ((الاداب))

في الجزائر من :

دار الكتاب

لصاحبها السيد خالد القرطبي

نهج كولو غلي رقم ٤ ـ بليدة ـ الجزائر

ان نؤوي الاثنين الى غرفة ... اقترح ان تكون هذه الغرفة في بيت المختار .. سيدنا الشيخ منصور ..

الشيخ منصور ـ على الرحب والسعة .. انا وبيتي وعائلتي في خدمة البيك ..

ابراهيم ـ ولكن ... قلها يا سيدنا الشيخ .. لا تدعني أترجم خواطرك ...

حسين ـ سعيد بك ، أرجو انّ تفهم .. لا يمكن للمختار ان يقبل..

الشيخ منصور ـ (متحمسا) اجل .. اجل يا سيدي البيك ، كنت اتمنى ان اقدم لك خدمة أجل من هذه .. ليس من الممكن ان تنام فتاة لم يعقد عليها بعد مع شاب في ...

ابراهيم ـ في بيت المختار يا سعادة البيك .. مفهوم .. مفهوم .. واما انا فاعتقد انه ليس من اللائق كذلك ان نؤوي خطيبة سعيد بك ، خاصة وان في بيتنا يعيش الفسق .. يا له من احراج شائك .. انك يا سيدي المختار لفرط تقواك لا تستطيع ان تاوي شابين لم يرتبطا بعد بالرباط المقدس في بيتك ، ولفرط فسقنا لا نجرؤ ان ندعو البيك وخطيبته .. لان بناما تحت سقف واحد مع الفسق .. أليس هذا شيئا رائعا ، كل الامور الآن قد وصلت الى ذروة عقدتها ، وأمرها بيد سيدنا المختار ، فليحكم الآن بيننا ، أما أن تدنس التقوى في بيته أو يدنس عفاف خطيبة في بيت الفسق بجوار الفاسقة خديجة ... هاهاها ..

(ابراهيم يستغرق في ضحكة هستيرية) ..

خديجة ـ (تحاول أن تقول شيئا) هل الآنسة نهلة تعبة .. تعالي معي الى الداخل ..

ابراهيم ـ (يقفز فجأة الى جوار نهلة ، يمسك بيدها) أحب هذه المرأة .. أكاد اخطفها ، هل يسمح سيادة البيك ان المس قليلا يد خطيبته ؟ انها يد ذكية ، أتعلم يا سعيد بك كيف يمكن ان تكون يد امرأة ذكية ؟ . آ ! أحس بعشرات الشفاه قد قبلت أديم هذه اليد .. بل هذه الخدود ..

حسين ـ كفاك تهريجا يا ابراهيم .. ابتعد عن الآنسة نهلة ..

ابراهيم ـ لتقل لي هي ذلك .. انها مسرورة .. سعيد بك لن يستطيع أن يرضيها ، انه شاب نحيل لا يحتمل قسوة الحب . لا يستطيع ان يسيطر على جسد هذه المرأة القوية البنيان كأنها من أصل ريفي هي ايضا ...

نهلة ـ (وقد داهمها غضب مفاجيء) اخرس ايها الفلاح القذر .. انا لا اعرف الريف الا وقت النزهات . من قال لك ان أصلي من القرى.. مثل هذه ءءءء

الشيخ منصور ـ (وهو ينظر الى خديجة) ونحن ابناء الريف لا نعرف المدن الا وقت الانشراح والترفيه ... هاك الآنسة خديجة مثلا .. انها منا ومن غبار ضيعتنا ، ومع ذلك فلقد جذبتها مدينتكم الكبيرة . فانتعلت حذاء عاليا لامعا وسارت على ارض مبلطة ودخلت حجرات انيقة. وصافحت أيدي رجال كثر هناك ..

ابراهيم ـ (يحاول ان يهدىء من روعه) لماذا لاتنظر الى المسألة بطريقة اخرى ياعم منصور ؟

الشيخ منصور ـ وكيف تريدني ان افعل ؟

ابراهيم ـ لماذا لاتقول انها تحب المدينة ، انها تريد ان تحيا كما يحيا الناس جميعا في القرن العشرين ؟ الا ترى في المدينة غير الدعارة والفسق ، اليس فيها كذلك مجال العلم والعمل ، مجال الحياة اللائقة بالانسان ؟ ماالذي نخشاه من المدينة ؟

خديجة ـ (تقفز من طرف الغرفة) هذا هو كلامك يا استاذ ابراهيم تعود اليه مرة ثانية . هكذا علمتني دائما .. ان امضي الى المدينة وان احيا فيها حياة لائقة بالانسان، ولكنك مالبثت ان تخليت عن الانسان ، تخليت عن كرامته التي بدات بالنمو والحياة ..

حسين ـ صحيح لماذا تركتها وحدها ، صارت انسانا ، صارت اختنا خديجة انسانا .. بنت مدينة .. انظر ما اجرأها ، صارت تعرف انتحكي وتناقش الرجال .. الله الله يازمان ..

ابراهيم ـ (كأنه لم يسمع ماقاله حسين يتابع مخاطبته للشيخ منصور) ياعم منصور .. ينبغي لنا ان نتعلم كيف نفتح صدرنا للريح .. لا ان نختبيء وراء بيوتنا الترابية ونلعن الريح.. المدينة تزحف في كل مكان ، ولن يبقى ريف اوغيره بعيدا عن زحفها . انها سوف تتدخل في كل شبر من أرضنا .

الشيخ منصور ـ يابني يا ابراهيم ، الله لايجعلني احيا حتى ارى ذلك اليوم . لن اسمح ان تسفر نساؤنا وان تراقص الرجال ، وان تخطب في الناس ، وتدخل تحت قبة البرلمان .. ثم هاك مافعلت المدينة بك وبأختك .. لقد افقدتها شرفها .

ابراهيم ـ اسكت .. لن اسمع منك هذه الكلمة ثانية ياشيخ منصور ..

الشيخ منصور ـ دعها تقل هي ذلك !

(تتجه الانظار كلها نحو خديجة ، لحظات بطيئة من الصمت ،تتحرك خديجة الى امام ، تبدو على وجهها علائم الاضطراب والخوف ، ثم تتلامح عليه الحيرة واخيرا تقف رافعة رأسها وقد صممت على أمر .)

خديجة ـ هذا موضوع لايتعلق الا بي وحدي ، انا وحدي ، افهمتم؟ ليس لاحد الحق في ان يسألني اي سؤال حول هذا الموضوع .

حسين ـ (يتمتم من خلال صرير اسنانه) ، اترون ؟ صارت خديجة حرة ، عرفت الحرية ..الحرية ..

سعيد بك ـ (يحاول ان يلطف من الجو ، يتكلم وهو ينظر مضطربا بين كل الوجوه حوله ،يبدو انه لايعرف ماذا يقول) ياإخوان هدئوا بالكم، نحن لانعرف ماذا بكم ، لقداقتحمنا عليكم جلستكم هذه فاعذرونا . احب ان اتدخل قليلا ، فانا اسمع اتهامات شنيعة هنا .. لااستطيع ان اتصور ان الانسة خديجة ، لاسمح الله ، قد فرطت بشيء غال لاتفرط به اية فتاة شريفة في القرية او المدينة .. خديجة اصبحت فتاة انيقة مثقفة، لها مكانتها في المجتمع ، التقيت بها في كثير من الحفلات والمحاضرات وكم اعجبت بها . انها تفرض احترامها على الجميع ، في كل مكان توجد فيه.

الشيخ منصور ـ (يقاطعه بلباقة) ولكن ياسيدنا البيك ، خديجة بنت فلاحين . والفلاحون لهم تقاليدهم فلا يجوز ان تفرط بأخلاق قومها. ثم اننا علمنا بانها خالطت شابا معينا .. وانها تذهب معه الى بيتهوتقضي معه اوقاتا طويلة . فهل بعدذلك تظل مثل هذه الفتاة محافظة على شرفها؟ لا ، لا ، والله لايمكن هذا ..

ابراهيم ـ لماذا نسيء الظن الى هذه الدرجة ياشيخ منصور ، ان مرافقة الرجال لاتعني دائما ضياع شرف البنت .. انظر مثلا الى سعيد بك ، انه يصطحب معه خطيبته الى الضيعة ، ثم هاهما يضطران الى النوم هنا ..

الشيخ منصور ـ (مرتبكا) هذا موضوع اخر ..هذا ولا شك موضوع اخر .. ولماذا لاتجعل اختك تعترف بأنها لم تفعل شيئا ، قل لها ان تدافع عن نفسها . .

حسين ـ ماهذا ياشيخ منصور ؟ ومتى كان للمرأة ان تصدق ، ان تدافع عن نفسها ..

الشيخ منصور ـ بل دعها تنفي التهمة عن نفسها .. على الاقل !

حسين ـ وماذا تنتظر منها غير ذلك ، اتريد ان تقول لك انها سلمت نفسها للرجل ؟

الشيخ منصور ـ (بلهجة آمرة) . بل قلت لك دعها تفصح هي عن نفسها ...

(تتجه الانظار ثانية الى خديجة)

خديجة ـ (وهي تحملق في الفراغ) لن اقول شيئا . هذا ليس من حقكم .. هذا لايعنيكم.. انه من شؤوني انا وحدي ..

حسين ـ اولم أقل لكم (يضرب كفا بكف) هذا هو الاعتراف ، لاتجرؤ ان تقول اكثر من ذلك .. انها ساقطة .. ساقطة ..

(خديجة تلتفت نحو ابن عمها ، تهم ان تحرك يدها ، ولكنها تطرق رأسها ثم تهرول خارجة من الغرفة ، يرين الصمت على الجميع .. يتوجه ابراهيم الى سعيد بك ..)

ابراهيم ـ ارجو عفوك عن هذه الجلسة الكئيبة .. اعتقد ان الانسة نهلة قد تعبت . والشيخ منصور كان ابدى استعداده لدعوتها الى بيته.. أليس كذلك ياعم منصور ؟ هناك يمكن ان تحافظ على سمعتها جيدا في بيت المختار ، مابالك ياعم منصور ؟ الست راضيا عن استقبال ضيوف الشرف هؤلاء في بيتك الليلة ؟ هيا قل !. ماذا حدث لك ؟ ان عينيك زائغتان .. انت لاترى شيئا .. يكاد ان يغمى عليك .. المسألة في غاية البساطة ، انت تؤوي عندك سعيد بك .. سيد القرية والانسة خطيبته في بيتك ، أهذه مصيبة كبرى حتى تصيبك مثل هذه الحمى ؟

نهلة ـ (وقد راحت تغمز بعينيها وهي تحدث سعيد بك) هـذا الشاب عظيم .. ماسمه ياسعيد ؟

سعيد ـ دعيك منه .. آه عفوا ، انه ابراهيم .. ابراهيم ..

نهلة ـ مادام العم منصور لاتشرفه زيارتنا .. و

الشيخ منصور ـ (متلعثما) العفو ياستي الله يخليك ، الله يديم عزك ، نحن كلنا خدامك لكن ..

نهلة ـ (تتابع دون ان تصغي اليه) مادام حضرته يخشى على سمعته منا نحن اصحاب الارض ، فانا افضل ان انام في بيت السيد ابراهيم ، اذا كان يقبل ..

(تنظر الى ابراهيم بتودد مكشوف ، يتأملها ببله ظاهر ، منصور يظل يطقطق بسبحته بصوت عال ، يمسح لحيته بعصبية بين لحظة واخرى نهلة تأخذ بيد ابراهيم ، وتجلس معه على مقعد طويل في اقصى اليمين من الغرفة ، يسمع همهمة الاخرين)

نهلة ـ لاتظل مطرقا هكذا ، أانت من هذه القرية ياابراهيم ؟ عجيب كأنك احد شبان الجامعة ..

ابراهيم ـ أنا ادرس في الجامعة ..

نهلة ـ صحيح .. لابد انك اذن من اسعد الشباب . آه .. بودي لو استطعت ان اكمل دراستي الثانوية وادخل الجامعة .. اتدري ، كنت اود ان ادرس الطب ، ولكن كما ترى كان حظي ان ادرس الرجال ..

ابراهيم ـ اوليس هو خطيبك .. اذن ؟

نهلة ـ لاتكن مغفلا يا ابراهيم ، اترجع قرويا .. كان لابد لكل الرجال الذين عرفتهم من أن يكونوا خطابا لي . فلقد تركت المدرسة بسبب اول خطيب ، ثم تعرفت الى خطيب ثان وثالث ، وهذا صاحبكم اخر مادفعته الاقدار الى طريقي ..

ابراهيم ـ الاخر وليس الاخير طبعا ..

نهلة ـ طبعا ها ها ها ...

(يتضاحكان بصوت عال)

نهلة ـ قل لي احقا تريد ان تقتل اختك ؟ لااستطيع ان اتصورك قاتلا ياابراهيم . ماذا فعلت المسكينة ؟

ابراهيم ـ لاشيء ، لاشيء . وأنا لااعرف ان اقتل ، ولكن يبدو انهم سوف يعلمونني ذلك ..

نهلة ـ هل ستذبحها (تشير الى عنقها) اتقدر ، اتقدر ، اتعني انك ستقتل ، لانهم ، لانهم هم يريدون منك ان تفعل ذلك ؟

(يعلو صوت نقاش الاخرين في الغرفة)

ابراهيم ـ لست ادري ، لعلي انا ايضا اريد ذلك ..

نهلة ـ (تنظر اليه في رعب وكأنها ترى وجهه لاول مرة) وهل تظن ان سعيد هو ايضايشترك معهم في ..

ابراهيم ـ لابد له ان يفعل هذا . اليس هو البيك ، الا يحكم هذه القرية ؟ انه صاحب التراب وكل من يدب على التراب هنا ..

(تقوم نهلة وتتجه نحو الضجة ، يعلو صوت الضجة حتى تضيع بين الاخرين ، تقف قبالة سعيد الذي يبدو انه كان منهمكا بحديث خطير مع الشيخ منصور)

سعيد ـ ماذا بك ، هل تحاولين ان تكوني مخيفة انت ايضا ؟.

نهلة ـ سعيد هل انت ،هل انت معهم ؟ أخبرني ..

سعيد ـ معهم ؟.. في أي شيء ..

(يلتفت نحو منصور وحسين متسائلا بخوف) ..

نهلة ـ لاتتجاهل ! قل لي هل انت مشترك معهم ؟..

(الذعر والحيرة تنتاب كلا من حسين ومنصور)

سعيد ـ ارأيتم ، ان احدا لابد قد اخبرها ..

(يتقدم منصور منها) .

الشيخ منصور ـ اصغي الي ياانسة ، نحن مضطرون ان نفعل ذلك، والا فان قانون الاصلاح الزراعي لن يبقي لكما شيئا ..

نهلة ـ (مدهوشة) ماذا تقول ، انا-لااعرف شيء ...

الشيخ منصور ـ (متابعا ومن ورائه حسين) لقد كان المرحوم والد سعيد بك حاجزا على سندات كثير من اصحاب الاراضي من الفلاحين لقاء ديون لم يدفعوها له .. من حسن حظكم انه توفي قبل ان ينقل هذه السندات الى ملكيته الخاصة ..

حسين ـ لاتخافي انا اضمن لكم الفلاحين ، ستظل سندات الارض باسمهم ولكن المحصول هو لكم ..

نهلة (مبهوتة) ـ ماذا تقولون ، انا لااعرف شيئا عن هذا الموضوع .. رباه .. ولا يهمني من أمر هذه الارض شيء ، انا لااهتم لامر بعد هذه الليلة .. كنت اسأل سعيد ان كان مشتركا في قضية القتل هذه .. هل سوف يذبح معكم خديجة . ولكن ها انتم تكشفون لي من تلقاء ذاتكم عن مؤامرة قذرة اخرى ..

سعيد ـ الحق ان نهلة ليست بعد خطيبتي ، لكنني سوف اطلب يدهـا ..

نهلة ـ صحيح ايها الجبان !.

الشيخ منصور ـ معاذ الله ياانسة ان يكون سعيد بك جبانا ..

نهلة ـ من هو هذا الشخص الذي عاش وابوه من قبله على اموال الربا .. ومن انت ايها الشيخ المحترم الذي يقوم بدور المفتي الصالح لكل جريمة ترتكب بحق هؤلاء المساكين .. والسيد حسين هذا الذي سوف يضمن بقوة عصاه ان يبقي الفلاحين عبيدا للبيك حتى في وقت توزع فيه اراضي الاقطاعيين ..

سعيد ـ (مبررا) اسمعوا ياأصدقاء ، هذه الفتاة لها آراء طائشة، انها تناقش كثيرا في قضايا سياسية واجتماعية .. لها عقل طائش ،ولكنها سوف تهتدي للحقيقة .. لاتخشوا شيئا .. اعتدت على آرائها ، كل لحظة لها رأي مختلف .

نهلة ـ (محتدة) ، اية حقيقة هذه ... احمد للظروف التي جعلتني اطلع على خفايا هذا الريف الجميل ، ريفك الاخضر الهانيء الذي قضيت فيه الساعات تصفه لي وتصوره لي كالجنة .. الذبح والاحتيال على الفلاحين والقوانين .. هذا هو ريفك .. الجنة ..

سعيد ـ ماذا جرى لك يانهلة ؟

نهلة ـ رائحة الدم والعرق والموت تفوح من كل شيء هنا ، اريد ان ارجع الى المدينة حالا .. هيا لن ابقى لحظة .. لن ابقى ..

حسين ـ ولكن ياانسة ليس من وسيلة .. توصلك .

نهلة ـ لااعرف .. لااعرف ، دبروا لي اي شيء .. انكم تعرفون كيف تحلون المشكلات اليس كذلك ، رقاب تذبح وعبوديات تدوم وبعد ذلك لايمكنكم ان تهيئوا لي سيارة ..

الشيخ منصور ـ سوف تبيتين عندي هذه الليلة ..

نهلة ـ لا ياشيخ .. وسمعتك غدا بين الفلاحين ، ماذا سيقولون ؟ لقد نامت عندك صاحبة البيك اليس هذا ماسيقولون ؟

الشيخ منصور ـ لابأس ، لابأس ، في سبيل سعيد بك .. ثم ، ثم اريد ان احدثك حديث العقل ياانسة نهلة .. انك شابة قد تنتابك كثير من الافكار المتهورة ..

نهلة ـ (تتوجه الى ابراهيم) ، ماذا تقول ياسيد ابراهيم . انني اود ان انام عند هذا الشيخ .. اريد ان انام عنده وسأخرج غدا صباحا من بيته امام جميع الفلاحين..

الشيخ منصور ـ لاحول ولا قوة الا بالله .. لاحول ولا قوة الا ..

(تخرج نهلة ويخرج وراءها الشيخ منصور وسعيد ، يبقى في الغرفة حسين وابراهيم)

حسين ـ اسمع يابن العم ، لماذا لاتقنع اختك بان تخطب صديقها وتنقذنا جميعا من هذه المشكلة ؟ الضيعة كلها على علم بالفضيحة .ونحن لنا مكانتنا هنا.. لايمكننا ان نتفاضى يابراهيم ..

ابراهيم ـ وماذا ستفعلون بنهلة ، هل ستذبحونها ايضا لانها اطلعت على مؤامرتكم ؟

حسين ـ سيدبر أمرها سعيد بك .. ينبغي ان نبقى اقوياء امام الضيعة ، لو تهاونا مع خديجة ضاعت السندات كلها ..

ابراهيم ـ لماذا لم تقل هذا من البدء ياأخي . افما كان اوضح وايسر على الفهم لو اننا تخلينا عن هذه الالفاظ لكبيرة ، الشرف والعرض والسمعة ..

حسين ـ عندما لن نقاوم نساءنا ، فاننا لن نستطيع ان نقف في وجه اصغر صعلوك في القرية . ولا تنس انك واحد منا ، من الذين سينتفعون من هذه السندات . فلو رجعت الارض الى اصحابها ، سوف ترجع فلاحا صغيرا ، تعمل في الطين معنا ، ولن ترى الجامعة ولا الشام في حياتك . ولذلك ليس هناك سوى هذا الحل .. عليها ان تجبر حبيبها على الزواج منها حالا .

ابراهيم ـ اما زلت تجهل طبع خديجة ، انها ترفض هذا كما رفضت ان تنفي او تثبت التهمة على نفسها . لقد اصبحت لها كبرياء انسان ، اتفهم ذلك ، اتفهم حسين ؟

حسين ـ ما معنى كبرياء انسان ، اوليس لنا نحن ايضا كبرياء . لعنة الله على المدارس والمدن .. شوهتكم ، قطعتكم عن اصولكم .

ابراهيم ـ (محتدا) ، لماذا ترجع الى مثل هذه الاكاذيب ياحسين؟ انت تعلم انك لاتفعل اي شيء الا بالنسبة لصالح قوتك وصيتك في الضيعة . اذا ذبحت خديجة فسوف تبقى حسين البطل المخيف وعندئذ فسوف تظل اعناق الفلاحين خاضعة لك ..

حسين ـ انظر الي ياابراهيم ، لقد ضقت ذرعا من هذا الكلام الطويل بدون نتيجة ابحث لك عن طريقة حتى صباح الغد .. والى اللقاء !

(يخرج حسين بخطوات سريعة ، يضرب الباب وراءه ، يظل ابراهيم ساكنا لحظة . يضع رأسه بين يديه ـ ثم تدخل خديجة بعد قليل) .

الفصل الثالث

(نفس المنظر ..)

خديجة ـ ماذا ستفعل حتى الغد يا أخي ؟ انني ارثي لحالك ..

ابراهيم ـ صحيح كانني أنا المذبوح ، ولست أنت .. اتذكرين يا خديجة عندما كنت تتشبثين بيدي كلما هممت بالمضي الى المدينة ، كنت تحبين أن تأتي معي الى ذلك المكان الكبير ، الذي يعج بآلاف الناس ويزدحم بآلاف الاشياء ...

خديجة ـ (وكأنها تحلم) كنت صغيرة آنذاك ، وكنت انت تدلني دون أن تريد ذلك على طريقة سريعة لكي اصبح دفعة واحدة امرأة ، ليس هذا فحسب ، كنت اسعى لان أكون شيئا . اواه لكم اشتقت للسير في شوارع لا تنتهي وحدي دون حاجة الى حراسة . كنت أود أن أخاف هناك وحدي بين آلاف الوجوه التي لا تعرفني ولا أعرفها ...

ابراهيم ـ (وكأنه يتابع حديثا ذاتيا) أيمكن هذا .. أيمكن .. اواه ، انك تحيرينني يا خديجة ، هل أحببت ذلك الشاب حقا ؟ كيف انتقيته من بين عشرات الاصدقاء والزملاء؟ أفما كان بينهم جميعا من يصلح لك زوجا حقا ؟

خديجة ـ أوكنت أنت كذلك تحسب انني ابحث عن زوج .. للانسان ان يحيا اولا ...

ابراهيم ـ هذه هي القضية .. ولكن كيف ... كيف ..

(يروح ويجيء بعصبية)

ابراهيم (متابعا) ـ انظري الينا في هذا الموقف مثلا ، الى ما آلت اليه الامور . أيمكن ان يصدق هذا ، أيمكن أن يصدق هذا .. أيمكن أن أكون دافعك الى الجريمة وقاضيك .. وحلادك كل ذلك في لحظة واحدة ...

خديجة ـ انا مقتولة من قديم ، منذ البدء أكاد أحس انني لم أكن يوما ، بحاجة الى جريمة او قاض او جلاد .. ما دمت هذه المقتولة ابدا ..

ابراهيم ـ كانت لك نظراتك الحالمة دائما .. وأنت أحسن من يعنى بالسجلات الصغار منذ ان تولد .. كان ابوك يسند اليك امر الاشراف على اصغر الحيوانات في قطيعه الغالي ..

خديجة ـ الخراف التي أحببتها وارقدت بعضها في فراشي .. كانت تعدو دائما للذبح ..

ابراهيم ـ معلمة القرية ، ماذا كان اسمها ، آ .. الانسة (حسن) قالت عنك مرة انك شاعرة ، ولا بد ان تصبحي شاعرة عظيمة فيما لو تابعت دراستك .. لهذا كنت تسرحين دائما في البساتين وحدك . كنت تنفرين من مصاحبة أحد من رفيقاتك .. هل نظمت فعلا شيئا من الشعر يا خديجة .

خديجة ـ اواه ، يا أخي المسكين ، اترثيني منذ الآن .. لست في حاجة لان تجعل مني هذه الضحية العظيمة لكي تخفف عني الموت قبل ان موت . كنت أريد ان أصبح شيئا ما ، هذا كل ما هنالك وأحببت ان أرى دروبا كثيرة تنفتح أمامي . وهنا في القرية ليس الا هذا الافق البليد ، الذي لا يؤدي اليه أي درب .. ابراهيم أما كنت تغار ؟ ...

(يجفل ابراهيم ، ويقف امامها) .

ابراهيم ـ أغار من أي شيء .. أنا .. ؟

خديجة ـ مني يا ابراهيم ، مني أنا ، لا تعجب ، أنت لم تستطع أن تعاملني الا كأنثى ..

ابراهيم ـ ماذا تقصدين بقولك السخيف هذا ؟ أوضحي بسرعة .

خديجة ـ مجرد خاطر ، لا تغضب هكذا . ان الانسان ليعجب كيف يمكنك ان تتحول هذا التحول المفاجيء من شبه قديس الى مثل هذا .. الكائن الغريب المخيف .. هذا ما يجعلني أثق انك ستقتلني يا ابراهيم.. انك تقدر ، تقدر ، لا أحد غيرك يمكنه ان يكون قاتلي الا أنت يا ابراهيم.. انت تغضب دائما ، بل كنت كذلك الرجل الذي يكتم غضبه ، فيتحول الى وحش من الحقد الداخلي، كنت لا تستطيع ان تراني اصبح لرجل آخر..

ابراهيم ـ وماذا في ذلك ؟ .. انا شرفي..هل تذكرين يا خديجة..

خديجة ـ (تتحرك نحو النافذة) اوه ، ليت المسألة تقف عند هذا الحد .. الظلام في الخارج مطبق . أنصت .. ماذا تسمع ، أنا أكاد اسمع للسكون ثمة ضجة .. يا لي من غبية ..

ابراهيم ـ (يقف خلفها) لم تقولي لي لماذا أغار عليك ..

خديجة ـ لا بد انك كنت تستطيع أن تقتله ، منيب ، أو غيره ، أي واحد من الشباب ..

فنـــدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتـــدلة

بادارة : حلمي المباشر

ابراهيم ـ قد يكون الامر صحيحا ، ربما غرت من اي انسان سوف يخطفك مني . نحن عشنا معا دائما يا أختاه ، كنا يتيمين ، وكنا نشق طريقنا الى الحياة بجهدنا الخاص ..

خديجة ـ ولكن يظهر أننا أطلنا هذا الطريق اكثر مما ينبغي ....

ابراهيم ـ الانسان لا بد أن يتابع ما بدأ به .. الطريق أمامنا .. فما الذي كان يمنعنا من متابعته ؟.

خديجة ـ انك تضحكني بهذا الكلام ، كأنك لم تزل ابراهيم القديم ، ذلك الشاب المتحمس لاية رغبة تجتاح نفسه البكر .. ولكن ماذا حدث اخيرا ؟ انا وحدي التي يمكن ان أدفع ثمن هذا الحماس وتلك الرغبات المجنونة ..

ابراهيم ـ كلنا يدفع هذا الثمن بطريقته الخاصة ..

خديجة ـ (تلتفت بعنف صارخة) اقتلني يا ابراهيم ...اقتلني ولننته من هذه المسألة . لا تدع انك تتردد ، لا تدع انك لا تحسن القتل .. القتل أبسط الامور التي اتقنها الرجل دائما ليبتهي من مشكلة يعجز عن حلها .. اما أن يقتل نفسه أو يقتل غيره ..

ابراهيم ـ أما أنا يا خديجة .. فانني بعمل واحد سوف أقتل غيري وأقتل نفسي معا ..

خديجة ـ وهذا ما يخيفك يا أخي ، أليس كذلك ؟ انك تخشى أن يكون في قتلي قتل لك ايضا .. لقد فررت دائما من تحمل المسؤولية مهما كان نوعها ..

ابراهيم ـ ليس هكذا ، لا تظلميني يا أختي ، انك ..

خديجة ـ (مقاطعة) أظلمك ، لا لا يا أخي انك لا تود ان تكون مسؤولا عني حية او مقتولة ..

ابراهيم ـ لماذا تخادعين نفسك هكذا ؟ أفما تودين ان تكوني الانسان، الانسان الحر ، فلماذا تطالبين غيرك أن يكون مسؤولا عن أعمالك ؟

خديجة ـ أنا رفضت هذه المسؤولية منذ البدء . لقد تركتني وشأني طيلة سنوات ثلاث . فما بالك تسألني اليوم عن أعمالي ؟

ابراهيم ـ (بألم) نحن قرويون ، نحن من هذا التراب ، ومهما ابتعدنا عنه فاننا مقيدون بحبل غير مرئي .. لا يلبث أن يشدنا اليه في أية لحظة ، عندئذ لا بد أن نقع على الطين ثانية ونغمر وجهنا به ...

خديجة ـ (وقد عاودتها طبيعتها الحالمة) أحب هذا الطين ، أحب أن أغمر كياني به ... أن أتمرغ عليه بجسدي العاري .. أتذكر يا ابراهيم ... كنا نعدو الى الدغلة كلما هطلت الامطار . كنت أفر من البيت وأنت تحاول أن تلحق بي .. ولكنك قلما كنت تكشف مخبئي .. سأقول لك الآن اين كنت أمضي ، هناك أصعد من الدغلة الى سفح الجبل ، وأظل أتسلق الصخر .. ثم أصل الى مغارة سرية .. لا يعرفها أحد غيري .. كنت هناك استلقي على عتبتها ، وارنو الى الامطار الهاطلة، أمد رجلي الى المياه ، أقوم فأخوض قليلا في البرك المتجمعة امام مدخل المغارة .. وعندما يشتد البرد أوقد شيئا من الحطب أجمعه لمثل هذه اللحظات .. وأتمدد قرب النار ، واذ يشتد عصف الرياح وقصف الرعد اصاب برعب لذيذ ، وحدي هناك كنت أحس كأني نبتة غريبة عن الارض .. تتنعش بالطين والمياه . ويرعبها قصف الرعود ، كأني قطعة من الصخر .. أتحول الى قطعة من الالماس .. تولد من صلب الجبل الصخري ، وتمتص اضواء الصواعق ، وتحبسها بين ذراتها فهي باردة كالصخر .. مضيئة كصواعق السماء ...

(في تلك اللحظات يسمع صخب خارجي أشبه بقصف الرعود وزئير الرياح ..)

ابراهيم ـ هكذا اذن كنت تختفين الساعات الطوال عن البيت ..

خديجة ـ في المغارة كنت أقرأ وأحلم ، وحين تعصف الرياح أتحول الى جزء من الجبل العاري الاجرد .. كنت أريد ان أصبح قطعة من ألماس .. اواه لكم تمنيت أن أعرض جسدي لبروق الصواعق ، أحسست أن هذه الصواعق هي الطريقة الوحيدة التي يتحول فيها الحجر من الصخر ، الحجر من اللحم الى مادة لماعة مشعة ، تختزن النور . كنت أحلم أن أصبح بمعجزة قطعة ألماس ..

(الاصوات الشبيهة بالرياح والرعود ما تزال تحيط جو المسرح بهالة من الغموض والرعب ...)

ابراهيم ـ هذا هو الشعر .. الشعر . شاعرة انت حقا يا خديجة اوه بل ساحرة .. ساحرة .. انك تخيفينني بهذه الاحاسيس الغريبة .. لا بد أنك قرأت كثيرا تلك الكتب اللعينة التي كنت آتيك بها .. ما كان ينبغي لي أن أدلك على هؤلاء الكتاب وأنت في عزلتك ، وتلفاء خيالك الجهنمي هذا .. أنا أضررت بك .. أسأت اليك .. وهذا ما أجنيه الآن ..

خديجة ـ الكتب لا تفعل شيئا وحدها .. انها تحتاج الى انسان .. انسان .. ـ

ابراهيم ـ بل الى مجنون ....

خديجة ـ يا أخي المسكين .. حتى ثقافتك دخيلة عليك .. انك لم تفعل شيئا سوى انك نلت شهادات متتابعة ، أما أنا فقد قرأت ، قرأت هنا وحدي وبمعزل عن المدارس والشهادات عن القراء الرسميين ...

ابراهيم ـ وماذا أفدت يا صغيرتي التعيسة ؟

خديجة ـ اوه سيحزون رقبتي ، هذا حق .. ولكن احلامي لن تنالها أي سكين .. لن يذبحها أي جلاد ..

ابراهيم ـ سنديانتك قطعوها منذ زمان طويل .. الشجرة التي غرسها أبوك يوم ميلادك خلف الدار لقد طالت وطالت وتصلبت ساقها.. ولكنهم قطعوها قطعوها في ساعات ، ولما هوت على الارض لم يسمع الفلاحون أعظم من تلك الفجعة .. كان زلزالا تحت أقدامهم ...

خديجة ـ وما زلنا نحرق من خشبها حتى الآن .. اكثر أهل الضيعة احرقوا من خشبها تحولت الى نار ورماد ، ثم اختلط الرماد مع التراب ، وفي الشتاء أحس بالطين طعم الرماد ، رمادي القديم ...

ابراهيم ـ تمرغت بطين القرية ، طين الجبل على عتبة المغارة ، مغارتك السرية العالية ذات الجوف المظلم والمفتوح على الفضاء والصواعق .. والرياح . ولكنك تمرغت ايضا بطين المدينة . هناك قذارة شفافة أخرى لا تكسو الجسم وحده .. وانما تنخر الصميم .. تنفجر من الداخل مع الدماء وتتمشى تحت الجلد في كل أنحاء الجسد ، (يمسك بكتفها فجأة) قولي لي ماذا فعلت بجسدك يا خديجة هناك .. الى أي حد عصفت به رياح مشؤومة .. ماذا أعطيت منه لمنيب ، ماذا أعطيت منه ... ؟ ..

خديجة ـ فلاح .. فلاح عتيق .. ذكر ابتدائي .. سيأكل اتثاه بعد لحظات .. كلكم سواء .. كلكم سواء . ألم أقل لك أنك تفار ، تفار ..

ابراهيم ـ (وقد فقد صوابه) ماذا فعل بك منيب ؟ هل هو الصاعقة ؟ هل هو ذلك النور اللاهب الذي اشتقت اليه ؟ ماذا حل بجسدك ؟ هل تحرر من صخرته ، من طينته ؟ أين ألماستك الشهيدة ؟ صقلتك الصواعق والبروق ، كنزت في جسدك ، بدل الدم ، ذلك النور البارد الدائم اللعين .. يا رب أود أن أطفىء الصواعق الى الابد ، لامنع حلم امرأة تعيسة ، تريد ان تجعل من جسدها جوهرة دافئة عربيدة.. يا رب أود أن أهدم هذا المنجم الشيطاني ، أن أبدد كنوزه .. أن أطمر فوهاته ، ليرجع الى ارض الجان ليغوص تحت الوحل الى قعر الدنيا .

(خديجة تتراجع الى الخلف ، تنحصر في الزاوية ، ابراهيم يصيح وهو يدور في أرجاء الغرفة بحركات جنونية ...) .

ابراهيم ـ أين ذلك النصل العظيم ، أمتشقه أسحبه .. من مخبئه الاسود .. أغوص به في مخبأ من اللحم والدم والآهات ؟ ..

(ابراهيم يخرج للحظات ، ثم يرجع بلمح البرق ، وفي يده تلتمع سكين طويلة .. ويقترب من خديجة وهو شاهر فوقها السكين ، عيونها تراقب لمعان السكين ، لا تخاف ، وانما تصمد بعنف رائع ..)

خديجة ـ هيا افعلها ايها الجزار ، لن تجز الا رقبتي ، وأما أحلامي ، أحلامي ، فستبقى لي الى الابد ..

ـ التتمة على الصفحة ٧٦ ـ

ابراهيم ـ ايتها المرأة اللعينة ، أيتها الزانية .. اعترفي لي الآن قبل ان يذهب رأسك الجميل هذا الى جهنم ...

خديجة ـ كنت أبحث عن ألماستي ، لن تعرف أنت ما هي .. لن تعرف أبدا حتى لو قطعت رؤوس النساء كلهن ...

(يسمع في تلك اللحظة جلبة سيارة وأصوات خارجية . يقف ابراهيم متجمدا كمن ينتبه الى نفسه ، ثم يسرع فيدس السكين تحت غطاء المنضدة .. تظل خديجة تحملق في مكان السكين ، بينما يتجه ابراهيم الى النافذة ثم يرجع نحو الباب وهو يتمتم بصوت خفيض).

ابراهيم ـ لن تهربي مني ، سوف أنال رقبتك في لحظة أخرى ، عاد هؤلاء الناس ليتدخلوا بيننا حتى في هذه اللحظات .. الاشقياء هاه ...

(يتوقف للحظات مواجها النظارة ، يرفع يديه الى وجهه فجأة كمن أدرك ما كان مقدما عليه يخرج ابراهيم من غرفة خديجة ، يسمع صوت باب خارجي ، يفتح ثم تعلو بعض اصوات من الداخلين . خديجة تتجه بخطوات ثقيلة الى المرآة ، توجه الاضواء الى الوجه وحده ، نظرات حزينة شاردة . ولكن الملامح تتجمع فجأة على تصميم ، تصغي خديجة الى الاصوات التي تعلو تدريجيا من الردهة الخارجية يدخل تباعا كل من منيب وحسين وابراهيم) .

حسين ـ (بسخرية) ها قد اجتمع الحبيبان ثانية .. رأيت الاخ منيب يسأل عنك حارس القرية في الساحة . امتطى سيارة وأتى بها خاصة لينقذك ...

منيب ـ خديجة ، ارجو عفوك ، ما كان يبدو لي الامر بمثل هذه الخطورة ، لقد فكرت فيماقلته لي في الشام ، وفجأة اكتشفت الخطر المحدق بك هنا . ما كان ينبغي أن أدعك ترجعين ، ولكنني أتيت .. أتيت في الوقت المناسب .. أليس كذلك ، أليس كذلك .. (يتطلع حوله متسائلا ..)

ابراهيم ـ أحسنت في مجيئك على كل حال .. فانه كان ينقصنا أمر هام .. لم تشأ خديجة أن تكشف لنا عنه ..

حسين ـ (متراجعا نحو الباب) انا الآن سوف أنصرف الى بيتي، عسى أن تصلوا الى حل قريب (ينظر الى منيب وخديجة متوعدا) .

(يخرج حسين بينما يسير منيب الى أقرب كرسي ليجلس عليه ويأخذ بمسح العرق المتصبب على جبينه يقف ابراهيم قريبا منه ، تتلهى خديجة بترتيب شعرها أمام المرآة ..) .

منيب ـ اوه .. لا أدري لماذا لا تسهرون في الخارج تحت الاشجار، لديكم هذا الريف الجميل الرطب ، بينما تحبسون على أنفسكم في هذه الغرفة .. المقفلة . الحر قاتل هذه الليلة . تركت دمشق وقد ذاب الاسفلت في شوارعها .. لا بد أن هناك ما يشغلكم حتى تسهروا الى مثل هذه الساعة .. ابناء الريف لا يحبون السهر .. انهم ينامون مبكرين .. فماذا جرى بحق الشيطان ؟

(صمت طويل . ابراهيم يجول قليلا ، يجلس الى مقعد خشبي ، يطرق ، ثم لا يلبث أن يقوم ، بينما تظل خديجة جامدة ، أمام المرآة قد انحل شعرها وانسدل على كتفها .. يتابع منيب ، وهو يحس لصوته صدى موحشا ...) .

منيب ـ ماذا تنوون أن تفعلوا ، لماذا أنتم جامدون هكذا بحق الشيطان ، اوف ، الحر خانق هنا هل أستطيع أن أفتح النافذة ...

(يقوم الى النافذة لكي يفتحها ، يقف ابراهيم في دربه ، يتراجع هذا الى مقعده ، ينظر الى ابراهيم برهة ، ثم يندفع نحو خديجة فجأة ..)

منيب ـ خديجة ، انظري الي قليلا يا عزيزتي .. أتودين أن تأتي معي ؟ لست أعرف ماذا سنفعل معا . ولكن تعالي معي ، تعالي ، هذا هو طريقنا الوحيد ..

ابراهيم ـ (متقدما ، بلهجة جافة) أتعني أنك تريد أن ترجعها ثانية الى بيتك يا منيب ؟

منيب ـ (مرتبكا) أنا .. أنا أريد أن ترجع معي خديجة ..

ابراهيم ـ أفصح ، مالك ترتعد هكذا ؟

منيب ـ لست أرتعد .. ولكنني حائر .. ما هذه القسوة يا ابراهيم ؟ ظننتك صديقا لي ، صديقا لنا معا أنا وخديجة ..

ابراهيم ـ (مشيحا بوجهه) كنت لكما هذا الصديق ولكنكما اسأتما الى معنى الصداقة ، كان ينبغي أن أظل الحارس ، وليس الصديق ...

منيب ـ المصيبة أنك لا تفهم ، وأنك تسيء الظن ، تسيء الظن الى درجة الجريمة .. ما بالكم قد انقلبتم جميعا الى جزارين ؟ لعلنا نستطيع أن نثق ببعضنا ولو قليلا ..

ابراهيم ـ انظر الي نفسك يا هذا جيدا .. ماذا تراك جئت فاعلا ؟ انك لا تدري ما تريد. كل ما هنالك انك تدعو خديجة الى الذهاب معك.. ولكن ماذا تريد أنت من ذهابها معك ؟

منيب ـ (ينظر متأرجحا بين خديجة وابراهيم) صحيح .. أنا لا أعلم بعد .. لا أعلم ..ولكنني مصمم أن أعيدها الى دمشق .. حسنا عندي فكرة .. فكرة لا بأس بها سوف نرضى بها جميعا .

(تتلامح على ثغره ابتسامة باهتة ، لا يجيبه أحد ، يتابع بحماس أقل) .

منيب ـ ما رأيكم لو وضعنا خديجة عند احدى صديقاتها في المدينة بضعة أيام فقط ، بل يوما واحدا ريثما ، ريثما نستطيع أن نجد حلا .. حلا نهائيا . نعم .. نعم ، نحن بحاجة الى هذا الحل ، لا بد أن أحدنا يعرفه ولكن ينبغي الجهر به .. حل نهائي هذا ما نحتاجه الآن . بل حتى مساء الامس ما رأيكم : ما قولك أنت يا ابراهيم .. (يلتفت الى خديجة بضراعة) ما رأيك يا خديجة أتأتين معي الى زميلتنا (سعاد) لقد أضافتك عندها مرات عديدة ، ولا بأس هذه المرة ... أنت تثق بها وبأهلها يا ابراهيم أليس كذلك ؟ ....

ابراهيم ـ أنا .. انا لم أعد أثق بأحد من سكان البيوت النظيفة هناك ..

منيب ـ دعها تفصح عن رأيها قليلا ، قولي لي يا خديجة هل تأتين معي ؟.

خديجة ـ (ببطء رهيب) أهذا كل ما تطلبه مني ؟ أهذا ما جئت من أجله في مثل هذه الساعة ؟

منيب ـ (يخاطب ابراهيم) يا أخي أنت تعلم أنني ما زلت طالبا ، ماذا أستطيع أن أفعل بمثل هذه السرعة ؟

خديجة ـ اصمت يا منيب .. أنا لا أستجدي الزواج منك ، أنت تعرف رأيي بالزواج ، وبالزواج منك خاصة .

(ابراهيم ، ترتخي ذراعاه الى جانبيه ، تظهر عليه علائم تعب ثقيل، يميل بجذعه الى الامام مغمضا عينيه . لقد وصل به التوتر النفسي الى ذروته وكأنه يتخلى فجأة عن دوره الاول القاتل ، تلحظ خديجة التغير الذي طرأ على أخيها ، تتقدم منه وكأنها تريد أن تمسك به قبل أن يقع، يوقفها قائلا بصوت متهدم) :

ابراهيم ـ لا .. دعك مني ، لا تقتربي من جزارك .. يا لذل النساء في شرقنا ، يظل الحنان يفسد شجاعتهن ! أنا تعب ، أحس بتعب مفاجيء ، اوه .. أكاد لا أستطيع أن أقف على قدمي . سأترككما الآن ، هذه فرصة اخيرة لكما .. فرصة أخيرة ...

(تشحب الاضاءة في الغرفة . الضوء يتحول من خلف النافذة الوحيدة ، الظلال تملأ الغرفة تماما .. الموسيقى تموجية ذات أصداء توحي باللاتناهي والسر ..)

منيب ـ ها نحن وحدنا ثانية .. ولكن كأننا سوف نفترق الى الابد، هيهات أن أقتل هذا الاحساس الذي لازمني منذ أن عرفتك ، كأن هاجس خفي يقول لي هذه الفتاة ستكون جحيمك الدائم هذه الفتاة لن تعرفها قط ، لن تذيقك طعم السعادة ..

خديجة ـ ليتك تملك مثل هذا الاحساس حقا .. ألا تدرك أننا مطالبون الآن من كل الناس أن نفصح عن أنفسنا ، أن نقول لهم من نحن وماذا نريد ، أتراك قادرا على هذا ؟ ...

منيب ـ السخفاء .. انهم يسمون كل علاقة تقام بين رجل وامرأة باسم واحد هو الحب ، والحب دائما . وليس للحب عندهم سوى معنى واحد ، معنى واحد . الاخلاص لدرجة الاستشهاد وقصائد الغزل والرومانتيكية ، ومن ثم النهاية المحتومة الزواج .. وتربية الاولاد .. خديجة بربك هل نحن متحابان حقا .. آه ليتني أستطيع ان أختصر هذه القصة كلها بلفظة واحدة الحب ... وننتهي .

خديجة ـ لا تعد الى الاعيبك القديمة ، لقد أصبحت أشك في هذا الهراء .. الذي عودتني أن أتلقاه منك وكأنه سحر وروعة .. خصوصية . أليست هذه كلمتك المفضلة .. شيء خاص بيننا .. علاقة مبهمة .. تفاعل سري ، لا نعرف ما هو ولكنه شيء يقربنا من وجودنا الحقيقي أليس كذلك ، أليس هذا ما كنت تسمي به علاقتنا ؟

منيب ـ أنت تعلمين أنني كنت دائما أكره أن أكون مثل الآخرين ، لا أحب حياة الاطارات ، لا أريد ان يسجنني اطار من اطارات المفاهيم العامة ، لا أحب أن أسمي محبوبا أو عاشقا ، فاسدا أو صالحا .. عظيما أو حقيرا .. كل ذلك لانني لست مثلهم أبدا ..

خديجة ـ هكذا أنت اذن ، انك لست مثلهم . ولكنك فجأة تجد العالم أجمع يطالبك من حولك وبصرخة واحدة أن تكون انسانا ما .. انهم ينادونك بضراوة الآن فبماذا سترد عليهم ؟

منيب ـ أود أن أكون شيئا .. ما . أنا مللت هذا التيه . ليتني أستطيع أن أقدم لهم هويتي ، ليتني استطيع أن أتقبل أية صفة يصفونني بها .. فليقولوا عني انني ..

خديجة ـ (صارخة) جبان .. !

منيب ـ جبان .. هذا كل ما هنالك .. ربما كنت سأهتدي أنا نفسي الى هذه الكلمة .. يا لها من كلمة بسيطة . انها أشبه بعود كبريت صغير ، يبدد ظلاما حالكا ، كان يختفي فيه ألف شيطان .. جبان .. جبان .. وكل الوسيقى الشيطانية تنهار أمام هذا الصوت الوحيد .. آه .. ولماذا لم تلق بهذا الصوت من زمان ، من قبل ؟

خديجة ـ (بأسى عميق) ما كنت أجرؤ يا منيب ، ما كان لي تلك الشجاعة كيما أنتحر وأنا في ذروة أحلامي .. لقد حملتك أوهاما .. كثيرة .. كنت شيئا رائعا بالنسبة لي وأما الآن .

منيب ـ (مقاطعا) فنحن مجرد متهمين .. أنا جبان .. وأنت ؟

خديجة ـ وأنا فاجرة ..

(موسيقى حادة ، تنفرج الاضواء قليلا قليلا .. لتعكس بعد لحظات على الجدار الخلفي للمسرح ظلال قضبان حديدية على طول الجدار وعلى وجه منيب وخديجة معا) ..

(تجلس خديجة على المقعد الخشبي وتلقي برأسها الى المسند ، ينحني الى جانبها منيب ..)

منيب ـ خديجة .. هل نحن حقا هكذا ؟ أيمكن هذا ، أيمكن أن تسمى كل هذه البراءة ، كل هذا التيه .. الذي تجولت فيه روحانا ، كل تلك النشوة الضريرة ، الامل المتسكع في ضباب أوهامنا أنحن في النهاية مجرد جبان وساقطة ؟

خديجة ـ (ببطء وهي شبه مغمضة العينين) يا الهي ما زلت كما أنت ، حتى في هذا الموقف .. تكذب وتهرب ، وتجد لنفسك الف دهليز تنفلت منه ..

منيب ـ (يقف منفعلا بتأثر شديد) وماذا نفعل ؟. هل سنقر ، هل نقر بأننا مسجونون ؟

خديجة ـ آه .. لا شيء أفضل من هذا .. لا شيء ابدا أفضل من هذا عندئذ لا بد أن نستريح ...

منيب ـ (واقفا) هل تستسلمين يا خديجة ؟ هل توافقين على هذه الراحة المسكينة ؟

خديجة ـ لقد التهموا مستقبلنا ولم يبق لنا شيء ، فلماذا نحاول ؟

(لحظات من الصمت ، تعود خديجة الى حالة الحلم ، وتتمتم كأنها وحدها ...)

خديجة ـ لن أصعد ثانية الى مغارتي .. ربما طال العوسج الآن على بابها وتكاثف بعروقه العنكبوتية الجافة .. سوف يطمرها الشوك الازرق النحيل .. والفتاة الناحلة ذات الثوب الرخو الطويل سوف تغرق في الظلمة ، وتأكلها الوحشة العمياء .. لن تلمسها البروق ، لن تملأ صدرها عصفات الريح ، لن تغسل لحمها زخات المطر الجبلي البارد، الشوك يطمرها ، والوحشة العمياء تبدد نشوتها . لن يطول معدنها أي نور ناري ، الصواعق سوف تصل معدنها الطفلي . لن تتحول من مجرد ترابة مرصوصة كثيفة ، الى الماسة شفافة . انهم يزرعون العوسج على باب مغارتي ، العنكبوت القذر يسد علي منافذ الفضاء الرهيب .. أموت ، أخمد في طينتي اللعينة الاولى .. لن يلتمع مني أي جوهر ما أنا الا امرأة تزحف على الطين ...

(تدير رأسها نحو منيب ، تنظر اليه بشرود وحنان طارىء ، ترفع كفها ، يمسك منيب بكفها ، ويضغط بها على صدره ...)

منيب ـ (بحشرجة تختنق بعبراتها) أريدك يا خديجة . أحس أنني اريدك كما لم أحس ابدا من قبل . اواه يا حبيبتي لن أدعك لهم ابدا ..

خديجة ـ وما الفائدة يا منيب ؟ لقد تأخر كل شيء ، وأنت الآن تحاول شيئا لم يعد بامكاننا ابدا ..

منيب ـ سأقول لهم شيئا .. سأعلن أنني سأتزوجك.. غدا صباحا .. غدا صباحا .. لا بد أن نتحرر من هذا الاختيار البشع ، اما أن تقتلي واما الزواج ...

خديجة ـ (تنتصب واقفة ، بينما لا يزال منيب راكعا قرب الكرسي) هل نحن نتحرر بهذا الحل ؟. كلا .. انما نفعل ما يريدون . اننا بذلك نعترف بأننا لم نكن سوى ذلك الجبان وتلك الفاسقة . لن يكون هذا زواجا .. وانما اقرارا بالجرم ، اقرارا الى الابد .. لا لن أرضى بذلك ..

منيب ـ (ينتصب متهالكا على نفسه) كما تشائين.. كما تشائين.. لا مهرب لنا ، نحن ما زلنا في سجنهم ، ومهما فعلنا .. ولكن يا حبيبتي (يقترب منها بينما تسير هي نحو النافذة) لنقبل تصنيفهم لنا .. لنقبل ان تكون علاقتنا الماضية اثما ومعصية ، ولنقبل الآن الصورة المشروعة التي يفرضونها علينا ، لنقبل هذا الزواج .. ثم لنبدأ حياتنا كما نريد بعد ذلك ..

خديجة ـ أية حياة هذه ، بعد أن يكون النبع قد غاض نحو الطين؟ هل تستطيع أن تحيا هذا الزواج يا منيب ؟ انه لن يكون الا زواجهم هم. لن يكون الا ارادتهم البشعة تتدخل كل لحظة بين جسدينا ، سوف ترى وجه حسين وابراهيم في كل لحظة تقبل فيها علي .. سيعيشون بيننا ، سيدنسون حياتنا ، سيلاحقوننا الى نهاية العالم ، لن نكون الا صنيعتهم ، لن نكون الا فعلتهم ، وما نحن بعد ذلك سوى اشباح ، تمثلنا وقد متنا واندرسنا .. منذ أن قبلنا ارادتهم ...

صدر حديثا

الحرية عند العرب

تأليف : إبراهيم حداد

كتاب جديد يتضمن أروع البطولات دفاعا عن الحرية منذ أقدم العصور حتى الآن

توزيع دار الثقافة - بيروت

منيب ـ (يقف خلفها ويطوق خصرها) خديجة .. ماذا نفعل بهذا الحب ، لقد كنا غافلين حتى الآن عن هذا الشيء الخفي الذي كان ينمو بيننا دون أن ندري .. ان المحنة تكشف لنا الآن عن حقيقة عواطفنا .. نحن متحابان بنوع من الحب ، ألا تحسين معي هذه العاطفة التي يمكنها ان تتحدى العالم كله ؟ ان قوة غريبة تنبثق من أعماقي يا خديجة .. لم أعرفها من قبل ولا بد أن تكون هي هي هذا الذي بحثنا عنه طويلا ولم نجده الا الآن في أحلك الظروف ...

خديجة ـ هذه العاطفة لا تهمني ... ومع ذلك .. ومع ذلك فانا امرأة ، ولكنني لست مستعدة الآن . الآن خاصة ان أقبل هذا الضعف . (تلتفت اليه بعنف) انت أحسست الان فقط بهذا الحب ، أليس كذلك يا منيب ؟ ...

(يظهر الارتباك على محياه مجددا ، يعبث بشيء في يده ، يسير قليلا نحو الامام ، ثم يتوقف ويدور نحوها نصف دورة)

منيب ـ أنا أشعر يا خديجه انني أريدك ، أشعر بأنني سوف أدافع عنك ضد وحوش الارض قاطبة ، وانني مستعد ان أفعل أي شيء في سبيل أن أفوز بك .. هل تسمين هذا الشعور حبا او أي اسم آخر ، فليكن ، ماذا تريدين ان أفعل اذن ؟

خديجة ـ (بقسوة جريحة) حبك هذا يا سيدي مجرد ثمن .. نبت فجأة في جيبك ، وليس في قلبك . انه ثمن تقترحه بديلا عن حياتي ، انت الآن بطل ، بطل ، بطل جديد تنضم الى أبطال الضيعة كلهم ، الى حسين ومنصور وابراهيم .. هم ابطال لانهم سيقبضون على حياتي ، وانت بطل لانك ستنقذ حياتي .. هاهاها ... أف سئمت البطولات ، سئمت الابطال ، وشريعة الغاب المزيف الجديد هذا ...

(لحظات من الصمت ، يخفي منيب رأسه ويتوجه الى المقعد يتهالك عليه .. بينما تتسمر خديجة وراء النافذة ، تبدأ طلائع النور بالظهور ..)

خديجة ـ (كمن يخاطب نفسه) سأقف الآن هنا حتى يبزغ الفجر ، ولن احول وجهي عن طلائع النور تترامى الي من خلف الجبل .. سوف تمر في طريقها على مغارتي ولكن الاشعة الباردة ، أشعة الفجر الباهتة سوف تضل بين عروق العوسج العنكبوتية على باب مغارتي .. ومغارتي لن تعرف ان الفجر قد حان ، وسوف يظل جوفها غريق ترابه الاعمى . لن تكون هناك عملية تحويل رائعة ، ليس من معجزة ، ولا شيء سوف يصبح جوهرا شفافا بعد ان كان طينا كثيفا قذرا ....

ـ ستار ـ

(في بيت المختار منذ الصباح الباكر)

(المختار وسعيد بك وحسين يتناولون طعام الافطار ، يبدو انهم منهمكون بحديث ذي أهمية)

سعيد بك ـ أنا لست على يقين ان هذه اللعبة سوف تمضي الى النهاية ، الفلاحون سيعرفون الحقيقة سيعرفون ان اراضيهم ما زالت ملكا لهم وسوف يطالبون بمحاصيلهم ..

حسين ـ ولكن يا سيدنا البيك ، أنت أيضا عندك سنداتهم ، وهم لم يدفعوا ديونهم بعد ، منذ أن كان والدك المرحوم حيا . وكذلك لن يستطيعوا أن يدفعوا أبدا شيئا ، أنت تعرف هذا الامر .

الشيخ منصور ـ المسألة لا تحتاج الا الى قليل من الرهبة يا سعيد بك .. وحسين قادر على اخضاع كل من سوف يتحدث في هذا الموضوع ..

(سعيد بك يتلفت وهو يأكل نحو الباب والنافذة ، يلاحظ منصور ذلك فيقول)

الشيخ منصور ـ الله يصلح الآنسة نهلة خانم . لقد تعمدُ أن تخرج مع الفجر ، مع صلاة الصبح ، حتى يراها الجميع وهي تخرج من بيتي أنا ..

سعيد بك ـ انها تريد ان تتمتع ببرودة الصباح في الريف ...

الشيخ منصور ـ ولكن يا سيدي بهذا العمل لم يبق احد من الفلاحين الا و .. وعلم بالامر ..

سعيد بك ـ (متجاهلا) وأي أمر يا عم منصور ....

حسين (متدخلا) : ليس شيئا يا سعيد بك ، ليس شيئا على الاطلاق ، ولكن العم منصور يخشى من تساؤلات بعض الفضوليين .. وهم عندما سيوضح لهم الامر ، ويبين أن الانسة نهلة ما هي الا خطيبة البيك ، لن يثيروا أي شيء قد يحرج العم منصور . أنت تعرف عاداتنا هنا يا سيدنا البيك . وبهذه المناسبة أريد منك يا سعيد بك أن تقف معنا من أجل أن نتخلص من رأس هذه الكلبة !

سعيد بك ـ اليس من طريقة أخرى ، ألا يمكن ان يتزوجها صديقها ذاك ..

حسين ـ يا سيدنا صديقنا منيب جاء ليلة أمس ، وعرض عليها الزواج حسب علمي .. لكن تصور هذه الكبرياء التي أصبحت لها . فقد رفضت هذا العرض .

الشيخ منصور ـ غريب أمر هذه المرأة ، ماذا فعلت بها المدينة ، أتريد اذن أن تذبح ؟ ...

حسين ـ وأنا أقول لكم ، أنني فرحت حقا ، فالافضل لمثل هذه المرأة أن تموت ، حتى نربي بها نساء الضيعة كلها .

سعيد بك ـ أنا لا أوافق على قتل خديجة ، لم أر فتاة مثلها ، ان شخصيتها رائعة وقوية وممتازة ...

الشيخ منصور ـ ولهذا يا سيدي أصبحت هذه المرأة مؤاخية للشيطان فينبغي التخلص منها ، انها فقدت كل حياء .. تواضع وخفر ، فماذا بقي لها من الانوثة التي خلقها الله وجعلها تابعة لارادة الرجل ؟..

سعيد بك ـ أنت يا شيخ منصور تبالغ دائما . ان المرأة انسان مثل الرجل سواسية .. فلماذا نجور عليها بمثل هذه الطريقة البدائية ...

الشيخ منصور ـ لا يا سيدي ، لا أريد ان أسمع منك أنت بالذات هذا الكلام ، المرحوم ابوك كان يرعى الاخلاق والعادات والدين في هذا البلد ، وكانت الفضيلة والخيرات تعم جميع النفوس وتخيم على جميع البيوت ..

سعيد بك ـ ولهذا كانت جميع هذه البيوت مرهونة عند أبي ، راعي الاخلاق والعادات رحمه الله ... ولهذا كذلك رحل نصف شباب القرية عنها واشتغلوا حمالين في سوق الهال ...

الشيخ منصور ـ (وقد فغر فاه دهشة وريبة) ماذا أصابك يا سيدنا البيك حتى تتحدث هكذا عن المرحوم والدك طيب الله ثراه ؟

سعيد ـ (ينظر الى الباب) أتريد الصراحة يا شيخ منصور .. ربما اصابني انا الآخر داء التقدمية او المدنية ، فانا لست مرتاحا ابدا لهذه المؤامرة . ومنذ ان عدت من الجامعة في بيروت وأنا أحس بالقلق من هذه العملية .. أعتقد انه ينبغي أن نطلع الفلاحين على حقيقة الامر ونرد لهم سندات اراضيهم .. يكفي ما أخذناه منهم منذ أكثر من عشرين عاما بهذه الحيلة ..

حسين ـ (هلعا) ولكن يا سيدنا البيك ... ؟ ...

سعيد ـ (مقاطعا زاجرا) لا بيك ولا باشا ، أنا اسمي الدكتور سعيد ، اتسمع الدكتور سعيد فقط ..

حسين ـ طيب يا سيدي ، الدكتور سعيد ، يا حضرة الدكتور لمن تريد ان تترك كل هذه الاراضي ، غدا لن يبقى لك مورد تصرف منه ...

سعيد ـ تكفيني قطعة الارض الاصلية ، ثم أني سوف أفتح عيادة طبية وربما فتحتها هنا وداويت اصدقاءنا أهل البلد مجانا ...

العم منصور ـ (مرتبكا متجلدا) الله يديمك يا سعيد بك يا دكتور سعيد .. لكن المشكلة لن تنتهي عند هذا الحد .. اذ عندما يعرف الفلاحون حقيقة الامر ، سوف يتهمونك بالسرقة ، سوف يطالبونك بحقوقهم عن السنوات الماضية التي أعقبت نهاية الديون فماذا ستفعل؟..

(يطرق سعيد مفكرا وكأنه شعر بالحرج فعلا ، يلاحظ منصور عليه ذلك فيتابع خطته بمكر بالغ ..)

منصور ـ ثم ان الامور سوف تتعقد أكثر من ذلك .. هناك أشياء كثيرة قد فعلها حسين يعاقب عليها القانون من أجلك يا سيدنا البيك ...

(يلاحظ منصور ان سعيد لم يقاطعه عند لفظة البيك مصححا ..)

حسين ـ (بخبث) نحن كلنا مشتركون بهذه الاشياء ، أليس كذلك

يا عم منصور .. كلنا .

(ويجول ببصره حول الجميع ليشملهم بكلمته ..)

العم منصور ـ البيك أبوك ، الله يرحمه كان كثيرا ما يحدثني بأمور تشبه هذه التي حدثتنا بها الآن . كان يجود قلبه الكريم بكثير من الاحلام الطيبة هذه . وكنت ألاحظ ان مثل هذه النوبات تنتابه أثر بعض الكؤوس التي يتجرعها مع بعض أصحابه .. كان له ضمير حي يقظ ، طيب الله ثراه ، وها أنت ثانية ترث هذا الضمير يا سيدنا البيك .. الله يرعاك ويحسن اليك على قدر نياتك الطيبة ...

حسين ـ انت ما زلت شابا جدّيدا..غيرتك الافكار الجامعية قليلا، أنت لا تعرف حقيقة الارض ، ولا الذين يعملون بالارض ، لو أنك أردت ان ترد اليهم حقوقهم هذه لطالبوك بشيء كثير كثير لا تقدر أبدا عليه .. اتركهم وشأنهم أنهم مسرورون بحالهم .. وكل تغيير سوف يضرك ويضرهم ...

سعيد ـ على كل حال لا بد ان أجد طريقة لانتهي من كل هذه المشكلات دفعة واحدة ، مشكلات لم أسببها ، ولكنني وجدتها مكدسة فوق صدري منذ ان ولدت ...

منصور ـ لا ريب أن الانسة نهلة ، هذه الصبية اللعوب قد أثرت على أفكارك ليلة أمس ..

(ينظر اليه بخبث ، وكأنه يعني أمرا ما حدث في الليلة الماضية في غرفة من غرف بيته ..)

سعيد ـ (يلقي باعتراف دون قصد وكأنه اعتراف لنفسه) الحق أنني أريد أن أتزوجها .. وهي .

حسين ـ وهي لا ترضى ان تتزوج من ملاك .. في الاحوال المدنية ، أصبح الناس يخافون من الملاكين ..

(تتوجه الانظار نحو الباب ، يسمع خطوات في الخارج شبه ضربات الخيل ، يفتح الباب ، تدخل نهلة ويتبعها ابراهيم .. يقوم حسين ومنصور لاستقبال نهلة دون ان يهتما بابراهيم .. الا بنظرات عابرة مستنكرة متسائلة ، بينما يظل سعيد في مجلسه يتأمل الوافدين بغرابة شديدة منقلا بصره بينهما ...)

نهلة ـ (تتحرك برشاقة باحثة عن كرسي ، تجلس ثم تتحدث بطلاقة غريبة) ما أجمل هذا الصباح . قريتكم رائعة يا عم منصور .. هناك برودةتهب علينا من كل جانب كأن رذاذا من الندى يرشنا من مناقير العصافير ...

منصور ـ الله يا ست نهله ، ليلة وصباح يكفيان لتجعلك شاعرة هكذا ...

نهلة ـ (متابعة) كنت اتجول في البساتين المجاورة عندما رأيت الاخ ابراهيم ، كان تعيسا جدا وأظن انه أمضى ليلته كلها سارحا في الحقول فدعاني الى التنزه معه وتطوع ان يأتيني بحصان .. وهكذا اكتشفت كل معالم الجمال في هذه الضيعة .. ولكن ابراهيم مسكين ، لم يزل حزينا كما ترونه .. بالله عليكم هلا انتهيتم من محاكم التفتيش هذه هلا انتهيتم من مشكلة اخته ، لقد ذبحتم هذه الفتاة واخاها الف مرة منذ ليلة أمس ...

(تنظر الى سعيد وقد أطرق برأسه ذلا وارتباكا ، ثم تلاحظ تجهم الآخرين من حوله .. فتقف غاضبة والسوط في يدها ... تضرب على كفها تارة وعلى ساقها تارة اخرى)

نهلة ـ ماذا جرى يا دكتور سعيد ، اوه يا سعيد بك ، يا سيدنا البيك . هل ردوك الى أصلك ؟ مختار الضيعة والجابي المخيف .. حضرته . انا آسفة ما كان لاحلامنا ليلة أمس ان يطلع عليها النهار . كنت واثقة منك هذه المرة يا سعيد .. ماذا فعلوا بك ، قل لي ؟.

(ترمي بالسوط وسط المائدة ، ثم تجهش بالبكاء ، وتخرج وهي تعول . اما ابراهيم فقد ظل حتى هذه اللحظة شبه غائب عن الموقف . ولكنه يتنبه فجأة ، ويحاول أن يعدو وراء نهلة ، الا أن صوت حسين القوي يوقفه ...)

حسين ـ الى أين يا ابن العم ، أراك تعدو خلف الانسة ، أين كنا وأين أصبحنا ؟ نريد ان نغسل العار والشنار من اسمنا وجبيننا ، صرنا نعدو وراء نساء الآخرين . عيب والله يا ابراهيم ، ليس الرجال يا ابراهيم هكذا ! .

منصور ـ كل المصائب من وراء هذه الساقطة خديجة .. خديجة أيقظت ضمائر جميع الناس . الخليلة نهلة صارت خطيبته ، ودفعت بالبيك الى ان يتنازل عن حقوقه ، وصار البيك يخجل من اسمه وأملاكه .. الله .. الله.. يا زمان يا مغير الاحوال .. ماذا حدث للناس والخلق يا رباه .. والرجل الذي كان سوف يصون شرف نسائه أصبح هو الآخر عاشقا لخطيبة سيده وولي نعمته ..

ابراهيم ـ (في موقف التحدي) لن أقتل اختي ، ولن أحميها ، سأتركهم ، سأتركهم جميعا ، انني راحل الى حيث لن يراني احد منكم على الاطلاق .. هل تسمعون ؟

حسين ـ ارحل يا جبان يا قليل الشرف .. عندما يرحل الاخ لا يبقى الا ابن العم .. ثارات الرجال يا عرب للرجال .. ثارات الرجال يا عرب للرجال ...

(يهرول ابراهيم خلف نهلة ثم يسمع بعد لحظات صوت محرك ينطلق بقوة ، سعيد مبهوت في مكانه ، الانتصار يلمع في عين منصور ، يقوم حسين الى الباب ثم يرجع ليقول كلمة ..)

حسين ـ راحوا الكلاب كلهم ابراهيم ونهلة ومنيب بالسيارة التي أتى بها منيب الحقير هذا ، أنا لخديجة ليس غيري .. ثارات الرجال يا عرب للرجال .. الثارات يا عرب للرجال ..

(ينطلق حسين وقد استل خنجره منشدا أهازيج قروية ، يضع سعيد رأسه بين يديه ، يتابع منصور تلمس لحيته ، وعيناه محملقتان الى أمام ، ببريق وحشي) .

ستار الختام

دمشق

مطاع صفدي

مجموعات ((الاداب))

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات التسع الاولى من الاداب تباع كما يلي :

			ل.ل
السنة الاولى	١٩٥٣	(مجلدة)	١٥٠
السنة الثانية	١٩٥٤	(بدون تجليد)	٤٠
السنة الثالثة	١٩٥٥	» »	»
السنة الرابعة	١٩٥٦	» »	»
السنة الخامسة	١٩٥٧	» »	»
السنة السادسة	١٩٥٨	» »	»
السنة السابعة	١٩٥٩	» »	»
السنة الثامنة	١٩٦٠	» »	»
السنة التاسعة	١٩٦١	» »	»